كتاب

النزاع والتخاصم

فيما بين بنى أمية وبنى هاشم

تأليف

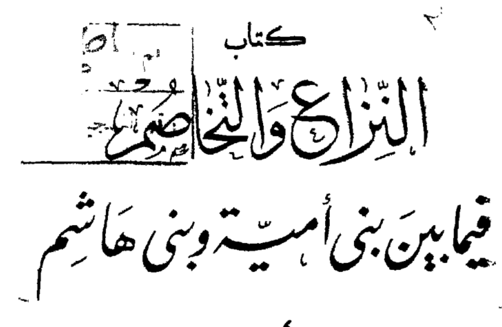
المؤرخ الكبير العلامة المقريزى

ويليه

رسالة العلامة الجاحظ فى بنى أمية

...حيحهما حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمود عرنوس
القاضى بالمحاكم الشرعية

...براهيم يوسف صاحب مكتبة الأهرام بشارع محمد على بمصر



تأليف

الشيخ الامام والعالم العلامة الحبر الحجة الحافظ
وحيد دهره وفريد عصره تقي الدين ابى محمد وأبي العباس
احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم بن تميم
المقريزى الشافعى عليهم الرحمة من الله آمين.

ويليه رسالة الجاحظ فى بنى أمية

عنى بتصحيحهما حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمود ع
القاضى بالمحاكم الشرعية

تطلب من ابراهيم يوسف صاحب مكتبة الاهرام بشارع محمد على

الاهداء

الى حضرة صاحب المعالى الدكتور على زكى العرابى باشا حامل لواء العلم وحامى حمى الفضيلة يتقدم ناشر هذا الكتاب النفيس الجامع لفلسفة التاريخ الاسلامى باهدائه الى معاليه اعترافا بفضله على رفع منار العدل ونشر العلم .

الناشر

ابراهيم يوسف

صاحب مكتبة الأهرام

التعريف بمؤلف هذا الكتاب

بقلم حضرة صاحب الفضيلة

الاستاذ الجليل الشيخ محمود عرنوس

القاضي بالمحاكم الشرعية

المقريزي ليس بالنكرة المجهول بل هو علم من أعلام التاريخ وله ذكر يطول اذا تتبعناه من جميع نواحيه غير أننا نذكر كلمة يقف منها القارىء على مقدار علمه وفضله . هو تقى الدين أبو محمد وأبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المقريزي عرف بهذا الاسم نسبة لحارة ببعلبك تعرف بحارة المقارزة فقد كان أجداده من بعلبك وحضر والده الى القاهرة وولى بها بعض الوظائف وولد له صاحب الترجمة وكان مولده حسبما يذكره هو عن نفسه بعد سنة ٧٦٠ هـ وابن حجر يقول ان مولده سنة ٧٦٦ هجرية كما رآه بخط المقريزي نفسه . أما الامام السيوطي فيقول ان مولده ٧٦٩ هجرية ووفاته محل اتفاق حيث توفى في

عصر يوم الخميس ١٦ رمضان سنة ٨٤٥ هـ بالقاهرة ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بحوش الصوفية البيبرسية

مازلت تلهج بالأموات تكتبها
حتى رأيتك فى الاموات مكتوبا

نشأ بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم وسمع من كبار شيوخها كالآمدي والبلقينى والعراقى وحج فسمع بمكة من كبار علمائها ودخل الشام وسمع بها أيضا من كبار الشيوخ فيها

اشتغل كثيرا وطاف على الشيوخ ولقى الكبار وتفقه حنفياً فى أول أمره على مذهب جده لامه ثم تحول شافعياً فيما بعد

نظر فى عدة فنون وكان يحسن الزاريرجه والاسطرلاب والرمل والميقات عدا فنون الحديث والفقه وغيرها

ناب فى الحكم وولى الحسبة بالقاهرة غير مرة أولها فى سنة ٧٨١ هـ ثم عزل بالشيخ بدر الدين العينى وولى الخطابة بجامع عمرو وبمدرسة السلطان حسن والامامة بجامع الحاكم وغير ذلك من الامور الدينية وكان فى جميعها محمود السيرة حسن الاثر

اتصل ببرقوق ودخل دمشق مع ولده الناصر وعرض عليه قضاءها مرارا فأبى

وصحب الامير يشبك الدوادار وقتا ونال منه دنيا

حب المقريزى للعلم

كان رحمه الله محل احترام رجال الدولة فى عصره وكانوا يعرضون عليه اسمى المناصب فكان يجيب مرة ويرفض أخرى وحبب اليه العلم فى آخر امره فأعرض عن كل مظاهر الحياة وأبهتها وفرغ نفسه للعلم وكان ميله الى التاريخ أكثر من غيره حتى اشتهر ذكره به وبعد صيته فألف كثيرا وأجاد فى كثير من مؤلفاته التى أربت على مئتى مجلد كبار. كما يقول هو عن نفسه وقلما أجاد مكثر

حسن ترتيبه فى تأليف التاريخ

(١) الف اولا ـ عقد جواهر الاسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط يتضمن تاريخ مصر من الفتح العربى الى قبيل قيام الدولة الفاطمية

(٢) كتاب اتعاظ الحنفاء باخبار الخلفاء يتضمن تاريخ الدولة الفاطمية

(٣) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك وهو يتضمن ملوك مصر وحوادثهم من بعد الدولة الفاطمية

والى ذلك يشير فى فاتحة كتاب السلوك اذ يقول (أما بعد

فانه يسر الله وله الحمد باكمال كتاب عقد جواهر الاصفاط من أخبار مدينة الفسطاط وكتاب اتعاظ الحنفاء باخبار الخلفاء وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الامراء والخلفاء وما كان فى أيامهم من الحوادث والانباء منذ فتحت والى أن زالت الدولة الفاطمية وانقرضت احببت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم الخ...

وكتاب السلوك هو الذى أتمه السخاوى بعد وفاة المقريزى وسماه التبر المسبوك فى ذيل السلوك

وله من الكتب الكبار الكتاب المسمى بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط

والتاريخ الكبير المقفى وهو فى ستة عشر مجلدا وكان يقول انه لوكمل على مايرومه لجاوز الثمانين مجلدا وكتاب مجمع الفرائد ومنبع الفرائد يشتمل على علمى العقل والنقل المحتوى على فنى الجد والهزل بلغت مجلداته نحو المائة

أما مؤلفاته الصغيرة فكثيرة ولكنها مفيدة يعتبر الكثير منها من أهم المراجع للمؤرخين منها كتاب البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب .والالمام فيمن تأخر بأرض الحبشة من ملوك الاسلام

وكتاب التخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم وهو الذى نقدم له

هذه المقدمة وهو معتبر من فلسفة علم التاريخ ككتاب السخاوى المسمى الاعلام بالتوبيخ فكلاهما كتاب فلسفى يدل على مقدرة مؤلفه وله كتاب الاوزان والاكيال الشرعيـة الفه عند ما كان محتسبا بالقاهرة

وكتاب تجريد التوحيـد المفيد وهو وان كان صغيرا الا انه من احسن المؤلفات واجودها فى هذا العـلم يقول عنه بعض مؤرخى المقريزى هو كتاب لانظير له فى بابه حذا فيـه حـذو شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيميه

لم يحصر المقريزى علمه وعقله فى دائرة ضيقة كما فعل كثير من معاصريه من العلماء بل سار شوطا بعيدا فى حدود العقل فبحث فى أصول الديانات والف كتاب شارع النجاة اشتمل على ما اختلف فيه البشر من اصول دياناتهم وفروعها مع بيان ادلتها وتوجيه الحق فيها وكانت له دراية بمذاهب أهل الكتاب حتى كان يتردد اليه أفاضلهم للاستفادة منه وهنا ينطق السخاوى بالحق بعده هذه العبارة ويقول ـ كانوا يستفيدون منه مع حسن الخلق وكرم العهد وكثرة التواضع وعلو الهمة فيمن يقصده والمحبة فى المذاكرة والمداومة على التهجد والاوراد وحسن الصلاة ومزيد الطمأنينة والملازمة لبيته ومع كل هذه الصفات فلم يخله من نقده اذ يقول عند ذكر كتاب الخطط هو كتاب مفيد لـكونه ظفر

بمسودة الأوحدى فأخذها وزادها زوائد غير طائلة والأوحدى كما يقول السيوطى هو شهاب الدين الأوحدى احمد بن عبد الله ابن الحسن ولد فى حدود سنة ٧٦١هـ وكان لهجا بالتاريخ الف كتابا كبيرا فى خطط مصر والقاهرة ويتهمه السخاوى أيضا بعدم الاتقان فيما يرويه من الحوادث عن المتقدمين ولكن المؤرخين لم يعولوا على ماذكره السخاوى فيه لأن آثار المقريزى شاهدة له بالعلم والفضل ـ وابن حجر وهو شيخ السخاوى يقول فيه له النظم الفائق والنثر الرائق

والتصانيف الباهرة خصوصا فى تاريخ القاهرة فانه احيا معالمها واوضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم أعيانها ويقول مؤرخ آخر ان المقريزى كان متبحرا فى التاريخ على اختلاف انواعه ومؤلفاته تشهد له بذلك وان جحده السخاوى فذلك رأيه فى غالب أعيان معاصريه

من ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

محمود عرنوس
القاضى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام تقى الدين أبى العباس المقريزى

الحمد لله المعطى ما شاء من شاء لا مانع لعطائه ؛ ولا راد لمراده وقضائه . أحمده بما هو أهله من المحامد . وأشكره على فضله المتزايد وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا معاند. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه وخليله .اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحابته ومحبيه وأهل طاعته وسلم وشرف وكرم .

«أما بعد» فأنى كثيراً ما كنت أتعجب من تطاول بنى أمية إلى الخلافة مع بعدهم من جِذْم [1] رسول الله ﷺ وقرب بنى هاشم ـ وأقول كيف حدثتهم أنفسهم بذلك وأين بنو أمية وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ ولعينه من هذا الحديث مع تحكم العداوة بين بنى أمية وبنى هاشم فى أيام جاهليتها ثم شدة عداوة بنى أمية لرسول الله ﷺ ومبالغتهم فى أذاه وتماديهم على تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله عز وجل بالهدى ودين الحق إلى أن فتح مكة شرفها الله تعالى فدخل من دخل منهم فى الاسلام كما هو معروف مشهور وأردد قول القائل

كم من بعيد الدار نال مرادَه وآخرُ دانِى الدار وهو بعيدُ

(١) جِذْم كل شىء أصله والجمع أجْذام وجذوم

فلعمرى لا أبعد أبعد مما كان بين بنى أمية وبين هذا الأمر إذ ليس لبنى أمية سبب إلى الخلافة ولا بينهم وبينها نسب إلا أن يقولوا أنا من قريش فيساوون فى هذا الاسم قريش الظواهر لأن قوله ﷺ « الأئمة من قريش » واقع على كل قرشى ومع ذلك فأسباب الخلافة معروفة وما يدعيه كل جيل معلوم وإلى كل ذلك قد ذهب الناس فمنهم من ادعاها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه باجتماع القرابة والسابقة والوصية بزعمهم فان كان الأمر كذلك فليس لبنى أمية فى شىء من ذلك دعوى عند أحد من أهل القبلة وأن كانت أنما تنال الخلافة بالوراثة وتستحق بالقرابة وتستوجب بحق العصبية فليس لبنى أمية فى ذلك متعلق عند أحد من المسلمين وان كانت لا تنال إلا بالسابقة فليس لهم فى السابقة قديم مذكور ولا يوم مشهور. بل لو كانوا إذ لم تكن لهم سابقة ولم يكن فيهم ما يستحقون به الخلافة لم يكن فيهم ما يمنعهم منها أشد المنع كان أهون وكان الأمر عليهم أيسر فقد عرفنا كيف كان أبو سفيان فى عداوته النبى ﷺ وفى محاربته وفي أجلابه عليه وفى غزوه أياه وعرفنا اسلامه كيف أسلم وخلاصه كيف خلص على أنه انما أسلم على يد العباس رضى الله عنه والعباس هو الذى منع الناس من قتله وجاء به رديفاً إلى النبى ﷺ وسأل أن يشرفه وأن يكرمه وينوه به وتلك يد بيضاء، ونعمة غراء، ومقام مشهور.

وخبر غير منكور . فكان جزاء ذلك من بنيه أن حاربوا علياً وسموا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الأقتاب(١) حواسر وكشفوا عن عورة عليّ بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كما يصنع بذرارى المشركين إذا دخلت ديارهم عنوة وبعث معاوية ابن أبي سفيان إلى اليمن بُسْر ابن أرْطاةَ فقتل ابني عبيد الله بن العباس وهما غلامان لم يبلغا الحلم فقالت أمهما عائشة بنت عبد الله ابن عبد المدان من عبد الديان ترثيهما

يا منْ أحسَّ بُنَيَّى اللذين هُما
كالدرتين تشظى عنهما الصدَفُ
أنحى على وَدَجَىْ طفلى مرهفةً
مَطْرورَة وعظيمُ الاثْمُ يقترَفُ

وقتلوا لصلب على بن أبي طالب تسعة ولصلب عقيل بن أبي طالب تسعة ولذلك قالت نائحتهم

عَيْنِ جودى بعَبْرةٍ وَعَويلِ
وانْدُبى إنْ ندَبْتِ آل الرسول
تسعةٌ منهم لصُلْب عليّ
قد أصيبوا وتسعةٌ لعقيلِ

هذا وهم يزعمون أن عقيلا أعان معاوية على عليّ فان كانوا

(١) القتب الاءكاف الصغير على قدر سنام البعير

كاذبين فما أولاهم بالكذب وان كانوا صادقين فما جازوه خيراً إذ ضربوا عنق مسلم بن عقيل صبراً وقتلوا معه هانیء بن عروة لأنه آواه ونصره قال الشاعر

فأن كنت لا تدرين ما الموتُ فانظرى
إلى هانیءٍ فى السوق وابن عقيل
ترى بطلا قد هشّم السيف رأسهُ (١)
وآخرُ يُرمى من طمار قتيل (٢)

وأكلت هند كبد حمزة فنهم آكلة الأكباد ومنهم كهف النفاق ونقروا بالقضيب بين ثنيتى الحسين ونبشوا زيداً وصلبوه والقوا رأسه فى عرصة الدار تطأهُ الأقدام وتنقر دماغه الدجاج حتى قال القرشى

إطرد الديك عن ذُؤابة زيد
طال ما كان لا تطأهُ الدّجاجُ

وقال شاعر بنى أمية

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة
ولم نر مهدياً على الجذع يُصلبُ

وقتلوا يحيى بن زيد وسموا قاتله ثائر مروان (أى الآخذ

---

(١) فى رواية أخرى « إلى بطل قد هشم السيف رأسه »
(٢) قتيل بفتح اللام « فى الأصل المنقول عنه هذه النسخة »

لثار مروان) وناصر الدين (١)

وضربوا على بن عبد الله بن العباس بالسياط مرتين على أن تزوج بنت عمه الجعفرية التى كانت عند عبـد الملك بن مروان وعلى أن نحلوه قتـل سليط وسموا أبا هاشم بن محمد بن على وضرب سليمان بن حبيب بن المهلب أبا جعفر المنصور بالسيـاط قبل الخلافة وقتل مروان الحمار الامام ابراهيم بن محمد بن على أدخل رأسه فى جراب نُورة حتى مات وقتلوا يوم الحرّة عون بن عبـد الله بن جعفر وقتلوا يوم الطف مع الحسين أبا بـكر ابن عبد الله بن جعفر .

وقتلوا يوم الحرة أيضا الفضـل بن العبـاس بن ربيعـة ابن الحارث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة بن أبى لهب وعبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. ومع ذلك كله فان عبد الملك بن مروان أبا الخلفـاء من بنى مروان أعرق الناس فى الـكفر لأن جده لأبيه الحـكم بن أبى العـاصى لعين رسول الله ﷺ وطريده وجده لأمه معاوية ابن المغيرة بن أبى العاصى طرده رسول الله ﷺ ثم قتله على وعمار صبراً .

ولا يـكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالايمان وأقدمهم فيه هذا وبنوا أمية قد هدموا الـكعبة وجعلوا الرسول دون الخليفة

(١) وقيل سموه « ناصر الداعى للحق »

وختموا فى أعناق الصحابة وغيروا أوقات الصلاة ونقشوا أكف المسلمين . ومنهم من أكل وشرب على منبر رسول الله ﷺ ونهبت الحرم ووطئت المسلمات فى دار الاسلام بالبقيع فى أيامه .

وكان أبو جعفر المنصور إذا ذكر ملوك بنى أمية قال كان عبد الملك جبارا لا يبالى ما صنع وكان الوليد مجنونا وكان سليمان همه بطنه وفرجه وكان عمر أعور بين عميان فاذا قيل عدل قال أن من عدله أن لا يقبلها ممن لم يكن لها أهلا ويتولاها بغير استحقاق وكان رجلهم هشام وقد صدق أبو جعفر وكان يقال لهشام الأحول السراق لأنه ما زال يدخل عطاء الجند شهراً فى شهر حتى أخذ لنفسه مقدار أرزاق سنة فلذلك قالوا الأحول السراق وقال خاله ابراهيم بن هشام المخزومى ما رأيت من هشام خطأ قط إلا مرتين فان الحادى حدا به مرة فقال :

إن عليك أيها البُخْتى

أكرم مَنْ تَمْشِى به المطى

فقال صدق قولك

وقال مرة والله لأشكون سليمان بن عبد الملك يوم القيامة إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان

وهذا ضعف شديد وجهل عظيم .

وكان هشام يقول « والله لاستحى الله أن أعطى رجلا أكثر

من أربعة آلاف درهم » .

وقدم هشام ابنه سعيداً على حمص فرمى بالنساء فكتب أبو الجعد الطائى إلى هشام مع خصى وأعطاه فرسا على أن يبلغ الكتاب وفيه :

أبلغ لديك أمير المؤمنين فقد
أمددتنا بأمير ليس عنينا
طوراً يخالف عمراً فى حليلته
وعند راحة يبغى الأجر والدينا

فعزله وقال يا ابن الخبيثة تزنى وأنت ابن أمير أمنين أعجزت أن تفجر فجور قريش «قبل هذا وأخذ مالى (١) » هذا لا يلى لى عملا أبداً وحسبك من عبد الملك ابن مروان قيامه على منبر الخلافة وهو يقول » ما أنا بالخليفة المستضعف ولا بالخليفة المداهن ولا بالخليفة المأفون » وهؤلاء هم سلفه وأئمته وبشفعتهم(٢) قام ذلك المقام وبتأسيسهم وتقدمهم نال تلك الرياسة ولو لا العادة المتقدمة والأجناد المجندة والصنائع القائمة لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام — فالمستضعف عنده عثمان بن عفان والمداهن عنده معاوية والمأفون عنده يزيد بن معاوية والضعيف لا يكون خليفة لانه الذى ينال القوى منه انتشار الامر عليه —

(١) هكذا بالأصل فليحرر (٢) وبشفاعتهم

والمداهن لا يكون إماما .ولا يوثق منه بعقد.ولا بوفاءعهد.ولا بضمير صحيح ولا بغيب كريم .—والمأفون لا يكون إماما .وهذا الكلام نقض لسلطانه.وعداوة لاهله.وإفساد لقلوب شيعته . وقرة عين عدوه .وعجز فى رأيه . فانه لم يقدر على إظهار قوته .إلا بأن يظهر عجز أئمته وقد كانت المنافرة لا تزال بين بنى هاشم وبنى عبد شمس بحيث أنه يقال أن هاشما وعبد شمس ولدا توأمين فخرج عبد شمس فى الولادة قبل هاشم وقد لصقت أصبع أحدهما بجبهة الآخر فلما نزعت دمى المكان فقيل سيكون بينهما أو بين ولديهما دم فكان كذلك ويقال أن عبد شمس وهاشما كانا يوم ولدا فى بطن واحد كانت جباههما ملصقة بعضها ببعض فأخذ السيف ففرق بين جباههما بالسيف ـ فقال بعض العرب ألا فرق ذلك بالدرهم فانه لا يزال السيف بينهم وفى أولادهم الى الأبد .

وكانت المنافرة بين هاشم بن عبد مناف بن قصى وبين ابن أخيه أميه بن عبد شمس بن عبد مناف وسببها أن هاشما كانت اليه الرفادة(١)مع السقاية وذلك أن أخاه عبد شمس كان يسافر وكان يقيم بمكه وكان رجلا مقلا وله ولد كثير فاصطلحت قريش على أن ولى هاشم السقاية والرفادة وكان هاشم رجلا موسرا وكان اذا حضر موسم الحج قام فى قريش فقال » يامعشر قريش أنكم جيران الله

---

(١)الرفادة هى من الرفد وهى الاعانة رفده يرفده رفدا اعطاه

وأهل بيته وانكم يأتيكم فى هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به حفظه (١) منكم أفضل ماحفظ جار من جاره فأكرموا ضيفه وزواره فأنهم يأتون شعثا غبرا من كل بلد على ضوامر(٢) كالقداح (٣) وقد أزحفوا (٤) وتفلوا وقملوا وأرملوا فاقروهم وأغنوهم وأعنيوهم » فكانت قريش ترافد (٥) على ذلك حتى أن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير على قدرهم فيضمه هاشم الى ماأخرج من ماله وما جمع مما يأتيه به الناس فـأن عجز كمله وكان هاشم يخرج فى كل سنة مالا كثيراً وكان قوم من قريش يترافدون فكانوا أهل يسار فكان كل انسان منهم ربما أرسل بمائة مثقال هرقلية وكان هاشم يأمر بحياض من أدم فتجعل فى موضع زمزم من قبل أن تحفر زمزم ثم يستقى فيها من البئـار التى بمكة فيشرب الحاج وكان أول مايطعمهم قبل التروية بيوم بمكة ويطعمهم

---

(١) بهامش الاصل « حفظه بالهاء » (٢) ضامر هو الجمل الذى هزل (٣) القداح واحدها قدح بكسر القاف وهى السهام وقيل العود اذا قطع على مقدار النبل (٤) يقال أزحف الرجل اذا اعيت أبله وتفل اذا ترك الطيب وقمل اذا كثر قمله وأرملوا احتاجوا يقال رجل أرمل وأمرأة أرملة أى محتاجه (٥) الرفادة من الرفد وهو الاعانة رفده يرفده رفداً أعطاه

يمنا ويعرفه ويجمع فكان يثرد لهم الخبز واللحم والخبز والسمن والسويق والتمر ويحمل لهم الماء حتى يتفرق الناس لبلادهم - وكان هاشم يسمى عمرا وأنما قيل له هاشم لهشمه الثريد بمكة وكان أمية ابن عبد شمس ذا مال فتكلف أن يفعل كما فعل هاشم من اطعام قريش فعجز عن ذلك فشمت به ناس من قريش وعابوه فغضب ونافر(١) هاشما على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة وعلى جلاء(٢) عشر سنين وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى جد عمرو بن الحمق(٣) وكان منزله عسفان وخرج مع أمية أبو همهمة حبيب بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر بن مالك الفهرى (٤) فقال

---

(١) نافر الرجل منافرة ونفارا حاكم قال أبو على الفارسى المنافرة المحاكمة نافرت فلانا الى فلان فنفرنى عليه أى غلبنى وكأن المنافرة كانت اولا انهم يسئلون اينا اعز نفرا (٢) جلا القوم عن الموضع ورحلوا يقال جلوا من الخوف وأجلوا من الخوف (٣) هو عمرو بن الحمق بن كاهن بن حبيب الخزاعى وقيل عمرو بن الحمق هو سعد من بنى سعد) ابن كعب أحد الصحابة مات سنة خمسين

(٤) وعند ابن الكلبي أنه أبو همهمة واسمه عمرو بن عبد العزى بن عامرة ابن عميرة بن وديعه بن الحارث بن محمد وأمه وأم اخوته طريف وسلامان وجابر قلابه بنت عبدمناف بن قصى وأبو همهمة جد حرب بن أمية بن عبدشمس أبو امه وكان أبو همهمة شريفاً .

الكاهن والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المآثر أول منه وآخر وأبو همهمة بذلك خابر .

فأخذ هاشم الأبل فنحرها وأطعم لحمها من حضر وخرج أمية الى الشام فأقام به عشر سنين فكان هذا أول عداوة وقعت فى بنى هاشم وبنى أمية ولم يكن أمية فى نفسه هناك وأنما يرفعه أبوه وبنوه وكان مضعوفا وكان صاحب عهار يدل على ذلك

قول نفيل بن عبد العزى جد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين تنافر اليه حرب بن أمية وعبد المطلب بن هاشم فنفر عبد المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال :

أبوك معاهر وأبوه عفّ

وذاد الفيل عن بلدٍ حرام

وذلك أن أمية كان يعرض لامرأة من بنى زهرة فضربه رجل منهم ضربة بالسيف وأراد بنو أمية ومن تابعهم إخراج زهرة من مكة فقام دونهم قيس بن عدى السهمى وكانوا أخواله وكان منيع الجانب شديد العارضة حمى الانف أبى النفس فقام دونهم وقال « أصبح ليل » فذهبت مثلا ونادى « إلا أن الظاعن مقيم » ففى هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف بن زهرة .

مهلا أمى فان البغى مهلكة
لا يكسبنك ثوبا شره ذكر
تبدو كواكبه والشمس طالعة
يصب فى الكأس منه الصاب والمقر

وصنع أمية فى الجاهلية شيئا لم يصنعه أحد من العرب زوج ابنه أبا عمرو بن أمية امرأته فى حياة منه — والمقتيون فى الاسلام هم الذين أولدوا نساء آبائهم واستنكحوهن من بعد موتهم واما أن يتزوجها فى حياته ويبنى عليها وهو يراه فان هذا لم يكن قط وأمية قد جاوز هذا المعنى ولم يرض بهذا المقدار حتى نزل عنها له وزوجها منه

وأبو معيط بن أبى عمرو بن أمية قد زاد فى المقت درجتين (١) ثم نافر حرب بن أمية عبد المطلب بن هاشم من أجل يهودى كان فى جوار عبد المطلب فما زال أمية يغرى به حتى قتل وأخذ ماله فى خبر طويل وتمادت العداوة بين البيتين حتى قام سيد بنى هاشم أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم رسول الله ﷺ بمكة يدعو قريشا الى توحيد الله تعالى

وقد روى سفينة عن أم سلمه أنه قال لها أن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم فقالت كذبت أستاه بنى الزرقاء بل هم ملوك ومن شر الملوك ويقال أن الزرقاء هذه هى أم بنى أمية بن عبد شمس وأسمها أرنب وكانت فى الجاهلية من صواحب الرايات

جلت قدرته وترك ماكانت تعبد من دون الله فانتدب لعداوته ﷺ جماعة بنى أمية منهم أبو أحيحة سعيد بن العاصى بن أمية حتى هلك على كفره بالله فى أول سنة من الهجرة أو فى سنة اثنتين وهو يحاد الله ورسوله ومنهم عقبة بن أبى معيط أبان بن عمرو بن أمية وكان أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ وأذا الى أن قاتل يوم بدر فأتى به الى رسول الله ﷺ وقد أسر فأمر بضرب عنقه فجعل يقول ياويلتى علام أقتل يامعشر قريش أأقتل من بين هؤلاء فقال رسول الله ﷺ لعداوتك لله ولرسوله فقال يامحمد مَنُّك أفضل فاجعلنى كرجل من هؤلاء من قومى وقومك يامحمد من للصبية قال النار وضرب عنقه وقيل أن رسول الله ﷺ أمر به فصلب فكان أول مصلوب فى الاسلام ـ وقال عطاء عن الشعبى أن رسول الله ﷺ قال لعقبة بن أبى معيط يوم بدر والله لأقتلنك فقيل أتقتله من بين قريش قال نعم انه وطئ على عنقى وأنا ساجد فما رفعت حتى ظننت أن عينى قد سقطتا وجاء يوما وأنا ساجد بسلى شاة فألقاه على رأسى فأنا قاتله .

ومنهم الحكم بن أبى العاصى بن أمية وكان عارا فى الاسلام وكان مؤذيا لرسول الله ﷺ بمكة يشتمه ويسمعه مايكره فلما كان فتح مكة أظهر الاسلام خوفاً من القتل .

فلم يحسن اسلامه وكان مغموصا (١) عليه فى دينه ثم قدم المدينة فنزل على عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية رضى الله عنه وكان يطالع الأعراب والكفار باخبار رسول الله ﷺ وبينا رسول الله ﷺ يمشى ذات يوم مشى الحكم خلفه فجعل يختلج بأنفه وفمه كأنه يحاكى رسول الله ﷺ ويتفكك ويتمايل فالتفت رسول الله ﷺ فرآه فقال له كن كذلك فما زال بقية عمره على ذلك وأطلع يوما على رسول الله ﷺ وهو فى حجرة نسائه فخرج اليه بعنزه (بعد العين نون مفتوحة وزاى) فقال من عذيرى من هذا الوزغة لو أدركته لفقأت عينه .

وقال زهير بن محمد عن صالح بن أبى صالح قال حدثنى نافع ابن جبير بن مطعم عن أبيه قال كنا مع النبى ﷺ فمر الحكم ابن أبى العاصى فقال النبى ﷺ « ويل لأمتى مما فى صلب هذا » ثم أن النبى ﷺ لعنه وما ولد وغربه عن المدينة فلم يزل خارجا عنها بقية حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فلما استخلف عثمان رضى الله عنه رده الى المدينة وولده فكان ذلك مما أنكره الناس على عثمان وكان أعظم الناس شؤما على عثمان فانهم جعلوا أدخاله المدينة بعد اطراد النبى اياه وبعد امتناع أبى

---

(١) غمصه يغمصه غمصا حقره ورجل مغموص عليه فى دينه أى مطعون عليه

بكر وعمر من ذلك اكبر الحجج على عثمان رضى الله عنه ومات فى خلافته فضرب على قبره فسطاطا وقد قالت عائشة رضى الله عنها لمروان بن الحكم « أشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت فى صلبه » وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت لمروان بن الحكم

إنّ اللّعينَ أباك فارمِ عظامَهُ (١)
إن ترْمِ ترمْ مخلّجاً مجنونَا
يضحى خميصَ البطنِ من عملِ التّقى
ويظلُّ من عملِ الخبيثِ بطينا

وكان الحكم هذا يقال له طريد رسول الله ولعينه وهو والد مروان بن الحكم الذى صارت الخلافة اليه بالغلبة وتوارثها بنوه من بعده وكان رجلا لا فقه له، ولا يعرف بزهد، ولا برواية الآثار، ولا بصحبة، ولا ببعد همة، وإنما ولى رستاقا من رساتيق دارابجرد لابن عامر ثم ولى البحرين لمعاوية وقد كان جمع أصحابه ومن تابعه ليبايع ابن الزبير حتى ردّه عبيد الله بن زياد وقال يوم مرج راهط والرؤوس تنبذ عن كواهلها

وماذا لهمْ غيرَ حيْنِ النفو
س أى غلامَىْ قريشٍ غلب (٢)

(١) ويروى أن اللعين أبوك
(٢) ويروى وماضرّهم غيرَ حين النفوس أىّ اميرَىْ قريش غلب

, هذا كلام من لايستحق أن يلى ربعاً من الارباع ولا خمساً من الأخماس .

فكان مروان أول من شق عصا للاسلام بغير تأويل وقال لخالد بن يزيد بن معاوية وأم خالد يومئذ عنده أسكت يابن الرطبة فكان حتفه فى هذه الكلمة

وكتب عبد الملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية « من عبد الملك أمير المؤمنين إلى محمد بن الحنفيـة » فلما نظر الى عنوان الصحيفة استرجع وقال (تسلط) الطلقاء ولعناء رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر الناس والذى نفسى بيده أنها لأمور لا يقر قرارها ومنهم عتبـة ابن ربيعة بن عبد شمس بن أمية أحد من عادى الله ورسوله إلى أن قتل ببـدر كافراً قتله حمزة بن عبـد المطلب رضى الله عنه وعتبة هذا هو أبو هنـد بنت عتبـة التى لاكت كبد حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه ثم لفظتها واتخذت مما قطعت منه مسكين [1] ومعضدين وخدمتين وأعطت وحشيا [2] قاتل حمزة حلياً كان عليها من ورق وجزع وخواتيم ورق كانت فى أصابع

(١) المسك بفتح الميم الأسورة والخلاخيل من الذبل والعاج والقرون والمعضد ما عمل فى العضد من الخرز والخدمة الخلخال.

(٢) وحشى بن حرب الحبشى أحد سودان مكة مولى طعيمة ابن عدى وقيل مولى جبير بن مطعم بن عدى اسلم .

وجليها كل ذلك شماتا بحمزة رضى الله عنه من أجل أنه قتل أباها عتبة رأس الكفر فى يوم بدر وقيل بل قتله عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وانشدت هند

عَينَىَّ جُودَا بِدَمْعٍ سَرِبْ
عَلَى خَيْرِ خِنْدِفَ لَم يَنْقَلِبْ
تَداعى بِهِ رَهْطُهُ قُصْرةً(١)
بَنُو هاشِمٍ وَبَنُو المُطَّلِبْ

وقيل أن عليا لما فرغ من الوليد بن عتبة مال مع عبيدة على عتبة فقتلاه جميعا،وهند هذه أمر رسول الله ﷺ يوم فتح مكة بقتلها فأسلمت ولما حضرت مع النساء لتبايع بيعة الاسلام كان مما قال لهن رسول الله ﷺ ولاتقتلن أولادكن فقالت وبيناهن يا محمد صغارا وقتلتهن كبارا وهى أم معاوية بن أبى

(١) أورد بن هشام هذه الشطرة تداعى له رهطه غُدْوَةً

ومما يروى عن معاوية وعناده للمسلمين ومما كسته الاسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعث الى أهل فدك فى سنة سبعة من الهجرة يدعوهم الى الاسلام فصالحوه على نصف القرية فقبل منهم ذلك وصار نصف فدك خالصا لرسول الله لانه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب يصرف ما يأتيه منها على أبناء السبيل وفعل مثله الخلفاء الراشدون فلما ولى معاوية الخلافة أقطعها مروان بن الحكم هذا فوهبها مروان لبنيه .

سفيان الذى قاتل عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه وأخذ الخلافة من الحسن بن على رضى الله عنه واستلحق (١) زياد بن سُميّة من زنية واستخلف على الأمة ابنه يزيد القُرود ويزيد الخمور ومنهم الوليد بن عتبة بن ربيعة وقتل ببدر كافراً قتله على رضى الله عنه والوليد هذا هو خال معاوية

ومنهم شيبة بن ربيعة بن عبد شمس عم هند أم معاوية وكان يجتمع مع قريش فيما تكيد رسول الله ﷺ من الأذى وقتله الله يوم بدر فيمن قتل من أعدائه .

ومنهم أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية قائد الأحزاب الذى قاتل رسول الله ﷺ يوم أحد وقتل من خيار أصحابه سبعين ماببن مهاجرى وأنصارى منهم اسد الله حمزة بن عبد المطلب ابن هاشم وقاتل رسول الله ﷺ فى يوم الخندق أيضا وكتب اليه :

« باسمك اللهم أحلف باللات والعزى وساف (٢) ونائلة وهبل لقد سرت اليك أريد استئصالكم فأراك قد اعتصمت بالخندق فكرهت لقائى ولك منى كيوم أحد »

وبعث بالكتاب مع أبى أسامة الجشمى فقرأه على النبى ﷺ أبى بن كعب رضى الله عنه فكتب اليه رسول الله ﷺ « قد أتانى كتابك وقديماً غرك يا أحمق بنى غالب وسفيههم بالله الغرور

---

(١) قولة يزيد القرود سمى بذلك لانه كان له قرد يلعب معه الشطرنج وكان يسميه أبا قيس .

(٢) اظنه اساف

وسيحول الله بينك وبين ما تريد ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى وساف ونائلة وهبل ياسفيه بنى غالب » ولم يزل يحاد الله ورسوله حتى سار رسول الله ﷺ لفتح مكة فأتى به العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه رسول الله ﷺ وقد أردفه وذلك أنه كان صديقه ونديمه فى الجاهلية فلما دخل به على رسول الله ﷺ سأله أن يؤمنه فلما رآه رسول الله ﷺ قال له ويلك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبى أنت وأمى ما أوصلك وأجلك وأكرمك والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئاً . فقال يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله فقال بأبى أنت وأمى ما أوصلك وأجلك وأكرمك أما هذه ففى النفس منها شيء فقال له العباس ويلك اشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك فشهد وأسلم فهذا حديث إسلامه كما ترى واختلف فى حسن إسلامه فقيل أنه شهد حنيناً مع رسول الله ﷺ وكانت الأزلام معه يستقسم بها وكان كهفاً للمنافقين وأنه كان فى الجاهلية زنديقاً وفى خبر عبد الله بن الزبير أنه رآه يوم اليرموك قال فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان إيه بنى الأصفر فاذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان

وبنو الأصفر الملوك ملوك الر
وم لم يبق منهم مذكور(١)

---

(١) هذا البيت من جملة ابيات للنعمان بن امرئ القيس بن اوس بن قلابة احد ملوك الحيرة

فحدث به الزبير أباه فلما فتح الله على المسلمين فقال الزبير قاتله الله يأبى الا نفاقا أولسنا خيرا من بنى الأصفر . ذكر عبد الرازق عن ابن المبارك عن مالك بن مغول (بالغين) عن ابن أبجر(١) قال لما بويع لأبي بكر الصديق رضى الله عنه جاء أبو سفيان الى على رضى الله عنه فقال أغلبك على هذا الأمر أقل بيت فى قريش أما والله لاملأنها خيلا ورجالا إن شئت فقال على ما زلت عدواً للاسلام وأهله فما ضر ذلك الاسلام وأهله شيئاً انا رأينا أبا بكر لها أهلا . وذكر المدائنى عن أبى زكريا العجلانى عن أبى حازم عن أبى هريرة قال حج أبو بكر رضى الله عنه ومعه أبو سفيان بن حرب فكلم أبو بكر ابا سفيان فرفع صوته فقال ابو قحافة اخفض صوتك ياابابكر عن ابن حرب فقال أبو بكر يا أبا قحافة ان الله بنى بالاسلام بيوتاً كانت غير مبنية وهدم به بيوتا كانت فى الجاهلية مبنية وبيت أبى سفيان مما هدم .

(١) ابن الأبجر هو عبد الملك بن سعيد بن حيان بن ابجر

ومما يؤثر عن أبى سفيان فى نفاقه وأنه مازال عاملا على الشقاق في الاسلام ان عمر بن الخطاب وهو خليفته سمع ذات يوم صوتا ولغطا بالباب فقال لبعض من عنده أخرج فانظر من كان من المهاجرين الاولين فادخله فخرج الرسول فوجد بلالا وصهيبا وسلمان فادخلهم وكان أبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمر فى عصابة من قريش جلوسا على الباب فقال يا معشر قريش أنتم صناديد العرب واشرافها وشجعانها بالباب ويدخل حبشى وفارسى ورومى فقال سهيل يا أباسفيان أنفسكم فلوموا ولا تلوموا امير المؤمنين دعى القوم فاجابوا ودعيتم فابيتم وهو يوم القيامة اعظم درجات واكثر تفضيلا فقال له أبو سفيان لا خير فى مكان يكون فيه بلال شريفاً « انتهى » نقلا عن الجاحظ

فليت شعري بعد هذا بأى وجه يبنى بيت أبى سفيان بعدما هدمه الله. وروى عن الحسن أن أبا سفيان دخل على عثمان رضى الله عنه حين صارت الخلافة اليه فقال قد صارت اليك بعد تيم وعدى فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بنى أمية فانما هو الملك ولا أدرى ما جنة ولا نار فصاح به عثمان قم عنى فعل الله بك وفعل وأبو سفيان هذا هو ابو معاوية ولم يزل بعد اسلامه هو وابنه معاوية من المؤلفة .

ومنهم معاويه بن المغيرة بن أبي العاصى بن أمية وهو الذى جدع أنف حمزة ومثل به فيمن مثل فلما انهزم يوم أحد دخل على عثمان بن عفان رضى الله عنه ليجيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بطلبه فأخرج من دار عثمان وأتى به رسول الله ﷺ فوهبه لعثمان وأقسم لئن وجده بعد ثلاث بالمدينة وما حولها ليقتلن فجهزه عثمان وسار فى اليوم الرابع فقال رسول الله ﷺ أن معاوية أصبح قريبا لم ينفذ فاطلبوه واقتلوه فأصابوه فأخذه زيد بن حارثه وعمار بن ياسر فقتلاه وقيل بل قتله على رضى الله عنه ومعاوية هذا هو أبو عايشة أم عبد الملك بن مروان فعبد الملك بن مروان أعرق الناس فى الكفر لأن أحد أبويه الحكم بن أبي العاصى لعين رسول الله ﷺ وطريده والآخر معاوية بن المغيرة .

ومنهم حمالة الحطب واسمها ام جميل بنت حرب بن أمية كانت تحمل أغصان العضاة (١) والشوك فتطرحها على طريق رسول الله ﷺ قاله الضحاك عن ابن عباس فقال مجاهد حمالة النميمة تحطب على ظهرها واياها عنى الله تعالى بقوله فى سورة « تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وماكسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد » عنى أن فى جيدها سلسلة من نار أى من سلاسل جهنم والجيد العنق ولما نزلت سورة تبت يدا أبى لهب وتب ماأغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد قالت امرأة أبى لهب قد هجانى محمدا والله لاهجونه فقالت

مذمما. قلينا . ودينه ابينا . وأمره . عصينا

وأخذت فهرا لتضربه به فأعشى الله عينها عنه وردها بغيظها و لم نزل على كفرها حتى هلكت.

وما أحد من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ألا وقد بذل جهده فى عداوة رسوو الله ﷺ وبالغ فى أذى من أتبعه وآمن به ونالوا

(١) العضاة «كل شجر له شوك»

منهم من الشتم وأنواع العذاب حتى فر منهم مهاجرين الى بلاد الحبشة ثم الى المدينة وأغلقت أبوابهم بمكة فباع أبو سفيان بن حرب بعض دورهم وقضى من ثمنها دينا عليه وهموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة وتناظروا فى أمره ليخرجوه من مكة أو يقيدوه ويحبسوه حتى يهلك أو يندبوا لقتله من كل قبيلة رجلا حتى يتفرق دمه فى القبائل وبالغ كل أحد منهم فى ذلك بنفسه وماله وأهله وعشيرته ونصب لرسول الله ﷺ الحبائل بكل طريق سراً وجهرا ليقتله فلما أذن الله له فى الهجرة وخرج من مكة ومعه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى غار ثور جعلوا لمن جاء بهما أو قتلهما ديتهما ويقال جعلوا له مائة بعير ونادوا بذلك فى أسفل مكة وأعلاها كل ذلك حسداً منهم لرسول الله ﷺ وبغيا ويأبى الله الا تأييد رسول الله ﷺ واعلاء كلمته حتى صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وظهر أمر الله وهم كارهون كما ذكرت ذلك ذكرا شافيا فى كتاب امتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع ﷺ والله در من قال .

أَعبْدَ شمسٍ قدْ اضرمتْ لبنى هَا

شم نارا يشيبُ منْها الوليد

فابن حرب للمصطفى وابن هند
لعلي وللحسين يزيد

وما الأمر ألا كما قال الأخطل

ان العداوة تلقاها وأن قدمت
كالعر يكمن أحيانا وينتشر (١)

وأقول هذا رسول الله ﷺ قد أبعد بني أمية عنه وأخرجهم من ذوي قرباه كما خرجه الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رحمه الله في كتاب فرض الخمس من الجامع الصحيح فقال « حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم قال مشيت أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه الى رسول الله ﷺ فقلنا يارسول الله أعطيته بني المطلب وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال رسول الله ﷺ أنما بنو المطلب وبنو هاشم شيء واحد »

وقال الليث حدثني يونس وزاد قال جبير ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس ولا لبني نوفل قال ابن اسحاق وعبد شمس وهاشم والمطلب أخوة لأم عاتكة بنت مرة وكان نوفل أخاهم لأبيهم وذكره البخاري في مناقب قريش أيضا وقال في غزوة خيبر حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب

(١) العر بفتح العين وضمها الجرب

عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره قال أتيت أنا وعثمان ألى النبي ﷺ فقلنا أعطيت بنى المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة منك فقال أنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد قال جبير ولم يقسم النبي ﷺ لبنى عبد شمس وبنى نوفل شيئا وقد رج أبو داود رحمه الله هذا الحديث من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب قال حدثنى جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ لم يقسم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل شيئا من الخمس كما قسم لبنى هاشم ولبنى المطلب قال وكان أبو بكر رضى الله عنه يقسم الخمس نحو قسم رسول الله ﷺ غير أنه لم يكن يعطى قربى رسول الله ﷺ كما كان يعطيهم رسول الله ﷺ وكان عمر رضى الله عنه يعطيهم ومن كان بعده منه .

واعلم أن قوله عن أبى بكر رضى الله عنه أنه لم يكن يعطى ذوى القربى كما كان النبي ﷺ يعطيهم أنما هو مما كان ﷺ يعود به عليهم من سهمهم وكان حاجة المسلمين أيام أبى بكر أشد لا أنه رضى الله عنه منعهم الحق المفروض لهم الذى سماه الله تعالى ورسوله ﷺ لهم فقد أعاذه الله من ذلك. وخرج أبو داود من طريق محمد بن اسحاق عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال أخبرنى جبير بن مطعم قال فلما كان يوم خيبر وضع رسول الله ﷺ سهم ذى القربى فى بنى هاشم وبنى المطلب وترك بنى نوفل وبنى

عبد شمس فانطلقت أنا وعثمان بن عفان حتى أتينا رسول الله ﷺ فقلنا يارسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذى وضعك الله به منهم فما بال أخواننا بنى المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله ﷺ أنا وبنو المطلب لا نفترق فى جاهلية ولا اسلام وأنما نحن وهم شيء واحد وشبك بين أصابعه وخرجه اسحاق بن راهويه عن الزهرى عن ابن المسيب عن جبير مثل ما تقدم وفيه قال فقسم رسول الله ﷺ سهم خمس الخمس من القمح والتمر والنوى وقال الحسن بن صالح عن السدى فى ذى القربى هم بنو عبد المطلب وخرج النسائى من حديث سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد عن قوله تعالى « واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه » قال هذا مفتاح كلام ولله الدنيا والآخرة» قال اختلفوا فى هذين السهمين بعد وفاة رسول الله ﷺ سهم الرسول وسهم ذى القربى فقال قائل سهم الرسول للخليفة من بعده وقال قائل سهم ذى القربى لقرابة الرسول وقال قائل سهم ذى القربى لقرابة الخليفة فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا هذين السهمين فى الخيل والعدة فى سبيل الله فكان ذلك فى خلافة ابى بكر وعمر رضى الله عنهما.

وقد روى عن بعض طرق ابن اسحاق عن الزهرى عن ابن المسيب أن عثمان وجبير بن مطعم كلما رسول الله ﷺ فى سهم ذى القربى وقالا قسمته بين بنى هاشم وبنى المطلب بن عبد مناف

ونحن وبنو المطلب اليكم فى النسب سواء فقال رسول الله ﷺ «إنا وهم لم نزل فى الجاهلية شيئا واحدا وكانوا معنا فى الشعب » كذا « وشبك بين أصابعه » وكان من حديث الشعب على ماذكر محمد بن اسحاق وموسى بن عقبة فذكر ابن اسحاق أن النبي ﷺ لما مضى على الذى بعث به وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه وأبوا أن يسلموه وهم من خلافه على مثل ماقومهم عليه إلا أنهم أنفوا أن يستذلو او يسلمو أخاهم لمن فارقه من قومه فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش ألا سبيل الى محمد ﷺ معهم أجمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بنى هاشم وبنى المطلب الا ينكحوهم ولا ينكحوا اليهم ولا يبايعونهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا صحيفة فى ذلك وعلقوها بالكعبة ثم عدوا على من اسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتد البلاء عليهم وعظمت الفتنة وزلزلوا زلزالا شديدا وقال ابن عقبة واجتمعت قريش فى مكرها أن يقتلو رسول الله ﷺ علانية فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيمانا ويقينا فلما عرفت قريش أن القوم منعوا رسول الله ﷺ اجتمع المشركون من قريش واجمع رأيهم

ألا يجالسوهم ولايبايعوهم ولايدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق ان لا يقبلوا من بنى هاشم أبدا صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا تركوا طعاما يقدم مكة ولا بيعا الا بادروهم اليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر ابو اسحاق القصة فى دخولهم الشعب وما بلغوا من الجهد الشديد حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع حتى كره عامة قريش ما أصابهم وأظهروا كراهتهم لصحيفتهم الظالمة .

قال موسى بن عقبه فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن بنى قصى ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق وأجمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه وبعث الله عز وجل على صحيفتهم التى المكر فيها برسول الله ﷺ الأرضة فلحست كلما كان فيها من عهد وميثاق فلم تترك اسما لله عز وجل فيها الا لحسته وبقى ما كان فيها من شرك أوظلم وقطيعة رحم وأطلع الله عز وجل رسوله ﷺ على الذى صنع

بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبى طالب فقال ابو طالب لاوالثواقب ماكذبنى وانطلق يمشى بعصابة من بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء فأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ فتكلم أبو طالب فقال قدحدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فاتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح وانما قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها فأتو بصحيفتهم معجبين بهالا يشكون أن الرسول مدفوع اليهم فوضعوها بينهم وقالوا قدآن لكم ان تقبلوا وترجعوا الى أمر يجمع قومكم فأنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم

فقال أبو طالب إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نصف ان ابن أخى قد أخبرنى فلم يكذبنى أن الله عزوجل برئ من هذه الصحيفة التى فى أيديكم ومحى كل اسم له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم فان كان الحديث الذى قال ابن أخى كما قال فأفيقوا فو الله لا نسلمه أبداً حتى نموت من عند آخرنا وان كان قال باطلا دفعناه اليكم فقتلتم أواستحييتم قالوا قد رضينا بالذى تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق

ﷺ قد أخبر خبرها فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب قالو والله ان كان هذا قط ألا سحرا من صاحبكم فارتكسوا وعادوا لشر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله ﷺ والمسلمين والقيام بما تعاهدوا عليه فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب ان أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون وانا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ولولا أنكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم طمس الله ما فيها من اسم له وما كان من بغى تركه أفنحن السحرة أم أنتم فقال النفر من بنى عبدمناف وبنى قصى ورجال من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم منهم أبو البخترى والمطعم بن عدى وزهير بن أبى أمية بن المغيرة وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده فى رجال من أشرافهم ووجوههم نحن براء مما فى هذه الصحيفة فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل قال موسى بن عقبه فلما أفسد الله صحيفة مكرهم خرج رسول الله ﷺ ورهطه فعاشروا وخالطوا الناس .

فانظر رحمك الله كيف لم يجعل رسول الله ﷺ القرابة فى النسب وحدها قرابة معتبرة فى أحكام الله عز وجل ما لم تقترن بها القرابة الدينيـة فانه كما قد رأيت أخرج بنى أميـة من ذوى القربى مع كونهم بنى أبيه عبد مناف بن قصى لما كان من عداوتهم له فى دين الله تعالى وتكذيبهم لما جاء به من النبوة والرسالة وكيف جعل بنى المطلب بن عبد مناف من ذوى القربى لأجل مسالمتهم له فى

الجاهلية وتسرعهم الى مناصرته ومؤازرته وموالاته ومعاضدته وانهم لم يربأوا بأنفسهم عن نفسه بل أمدوه بأنفسهم حيث تخلى عنه الناس ودخلوا معه الشعب مؤمنهم وكافرهم فالمؤمن دينا والكافر حمية وتأمل ذلك يظهر لك منه فائدتان إحداهما ان العبرة بقرابة الدين لا بقرابة الطين والثانية أن مجرد القرابة ليس بشيء وقد قيل أقرب الوسائل المودة وأبعد النسب البغضاء قال :

وأرى القرابة لا تقرب قاطعا

وأري المودة أكبر الأسباب

وقال الأعشى:

لا تَطْلُبَنَّ الود من متباعد

وَلا تَنْأَ مِنْ ذى بِغضة أَنْ تقربا

فان القريب من يقرب نفسه

لعمر أبيك الخير لامن تنسبا

فأذا أقرب الوسائل المودة وأبعد النسب العقوق وقد قال تعالى «انما المؤمنون أخوة» فقاربت ولاية الاسلام بين الغرباء. وقال تعالى «أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح» فباعد به بين القرابة ثم أنى ماذا أقول ياعجبا كيف يستحق خلافة رسول الله ﷺ على أمته شرعا من لم يجعل له حقا فى سهم ذى القربى أم كيف يتيم

دين الله من قاتل رسول الله ﷺ ونابذه وكايده وبذل جهده فى قتله وليت اذ ولى بنو امية الخلافة عدلوا وأنصفوا بل جاروا فى الحكم وعسفوا واستأثروا بالفيء كله وحرموه بنى هاشم جملة وزادوا فى العتو والتعدى حتى قالوا انما ذو القربى قرابة الخليفة منهم وحتى قرروا عند أهل الشام أنه لاقرابة لرسول الله ﷺ يرثونه الا بنى أمية فلما قام بالأمر ابو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس المنعوت بالسفاح وقتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلائف بنى أمية وأزال دولتهم دخل عليه مشيخة من أهل الشام فقالوا والله ماعلمنا أن لرسول الله ﷺ قرابة يرثونه الا بنى أمية حتى وليتم فقال ابراهيم بن مهاجر

ايها الناس اسمعوا أخبركم
عجبا زاد على كل عجب
عجبا من عبد شمس أنهم
فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا احمد فيما زعموا
دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله مانعلمه
يحرز الميراث الا من قرب

وحتى صعد الحجاج بن يوسف يوما أعواد منبره وقال على رءوس الأشهاد أرسولك لك أفضل أم خليفتك يعرض بأن عبد الملك بن مروان بن الحكم أفضل من رسول الله ﷺ فلما سمعه جبلة بن زهر (١) قال لله على ألا اصلى خلفه ابدا وأن رأيت من يجاهده لأجاهدنه معه فخرج مع عبدالرحمن بن الأشعث وقتل معه ولقد اقتدى بعدو الله الحجاج في كفره بن شفي (٢) الحميرى فأنه قام بمجلس هشام بن عبد الملك وقال أمير المؤمنين خليفة الله وهو أكرم على الله من رسوله فأنت خليفة ومحمد رسول الله وحتى أن يوسف بن عمر عامل هشام قال فى خطبته يوم الجمعة أن أول من فتح على الناس باب الفتنة وسفك الدماء على وصاحبه الزنيجى يعنى عمار بن ياسر رضى الله عنه فهذا كما ترى والى الله المشتكى.

وقد خرج الحاكم من حديث سفيان عن أبى سحاق عن عمرو ذى مر عن على بن ابى طالب رضى الله عنه فى قوله عز وجل « وأحلوا قومهم دار البوار » قال هما الافجران من قريش بنو

---

(١) موجود فى الاصل هكذا جعله بن « ومصحح بالهامش نقلا عن ابن الاثير » هكذا

(٢) هكذا فى الأصل ومصحح بالهامش نقلا عن ابن الاثير «ابن شقى» بالقاف

أمية وبنو المغيرة فأما بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدر وأما بنو أمية فتمتعوا الى حين قال الحاكم هذا حديث صحيح وسئل علي رضي الله عنه عن بني أمية وبني هاشم فقال هم اكثر وانكر وامكر ونحن افصح واصبح وأسمح وقال ابو بكر بن ابي شيبة ثنا حشرج بن نباته قال حدثني سعد بن جمهان قلت لسفينه أن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من أشد الملوك وأول الملوك معاوية.

وما زلت طول الأعوام الكثيرة أعمل فكري في هذا وأشباهه التي يطول ذكرها وأذاكر به من أدركت من مشيخة العلم ومن لقيت من حملة الآثار ونقلة الأخبار فلا أجد في طول عمري سوى رجلين أما رجل عراه ماعراني وساءه ماقد دهاني فهو يحذو في المقال حذوي ويشكو من الألم شكوي وأما رجل يرتع في ميدان تقليده ويجول في عرصات تهوره وتفنيده فلا يزيدني على التهويل والهدر الطويل الى أن اتضح لي والحمد لله وحده سبب أخذ بني أمية الخلافة ومنعها بني هاشم وذلك أن أعجاز الأمور لاتزال أبدا تالية لصدورها والأسافل من كل شيء تابعة لأعاليها وكل أمر كان خافيا اذا انكشف سببه زال التعجب منه وما يعد على من بعد سبب أخذ بني أمية الخلافة وتقدمهم فيها على بني هاشم ألا من أجل الاعراض عن الاعتناء بتعرف أوائل ذلك وقلة البحث عن غوامضه وأن الشيء لم يوضع في

مواضعه وانما سلك فيه الكافة الا قليلا مذهب التعصب والواجب
على العاقل بعد معرفة ماخفي من السبب الاذعان والتسليم وترك
الاعتراض فماذا بعد الحق الا الضلال وذلك أنه لا خلاف بين أئمة
الحديث ونقاد الاخبار وعلماء السير والآثار أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم توفى وعامله على مكة أبو عبد الرحمن عتاب بن أسيد
ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي احد من
أسلم يوم فتح مكة وأنه لم يزل على مكة منذ فتحها الله على رسول
الله ﷺ عام ثمان من الهجرة إلى أن توفاه الله عز وجل فاقر
أبو بكر الصديق رضى الله عنه عتابا حتى ماتا في يوم واحد
وكان ﷺ قسم اليمن بين خمسة رجال خالد بن سعيد على صنعاء
والمهاجر بن أبي أمية على كندة وزياد بن لبيد على حضرموت
ومعاذ بن جبل على الجند وابا موسى الاشعرى على زبيد ورمع
وعدن فكان عامل رسول الله ﷺ على صنعاء اليمن كما تقدم
خالد بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بعثه ﷺ اليها
سنة عشر من الهجرة وقد مات باذام ليكون على صدقات
اليمن فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد على اليمن وكان

أبان بن سعيد بن العاصى بن أمية على البحرين برها وبحرها منذ عزل العلاء بن الحضرمى حليف بنى أمية وقيل بل مات رسول الله ﷺ والعلاء على البحرين وكان عمرو بن سعيد بن العاصى بن أمية على تيماء وخيبر وتبوك وفدك فلما توفى رسول الله ﷺ رجع خالد بن سعيد وأبان وعمرو عن عمالتهم فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه مالكم رجعتم عن عمالتكم ماأحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ أرجعوا الى أعمالكم فقالوا نحن بنو أبى أحيحة لانعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ أبدا ثم مضوا الى الشام وقاتلوا وقتلوا فى مغازيها فيقال مافتحت بالشام كورة من كور الشام الا وجد عندها رجل من بنى سعيد بن العاصى ميتا وكان أبو سفيان بن حرب بن أمية على نجران فمات رسول الله ﷺ وهو عليها وقيل بل كان على نجران لما توفى رسول الله ﷺ عمرو بن حزم بن زيد بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارى :

قال الواقدى عن ابراهيم بن جعفر عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال توفى رسول الله ﷺ وأربعة من بنى أمية عماله عتاب بن أسيد على مكة وأبان بن سعيد بن العاصى على البحرين وخالد بن سعيد على صنعاء وأبو سفيان بن حرب على نجران قال الواقدى اصحابنا مجمعون على أن رسول الله ﷺ قبض

وأبو سفيان حاضر وقال ابن الكلبي كان أبو سفيان غائبا فلما قدم قال كيف رضيتم يابني عبدمناف أن يلي أمركم غيركم وقوم يقولون أن رسول الله ﷺ ولى أبا سفيان صدقات خولان ونخلة وولى يزيد بن أبي سفيان على نجران والله أعلم .

وكان على جرش سعيد بن القشب الأزدي حليف بني أمية فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليها وكان المهاجر بن بني اميه بن المغيرة ابن عبد الله بن مخزوم المخزومي أخو ام سلمة ام المسلمين رضي الله عنها على صدقات كنده والصدف ثم ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنه اليمن وكان عمرو بن العاصي بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم السهمي حين وفاة رسول الله ﷺ على عمان بعد مابعثه النبي ﷺ على سرية نحو الشام الى أخوال أبيه العاصي بن وائل من بلي يدعوهم الى الاسلام ويستنفرهم الى الجهاد ثم أمده رسول الله ﷺ بجيش فيه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم فصلوا خلفه ثم عمل عمرو بن العاصي بعد رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما وكان على الطائف عثمان بن ابي العاصي بن بشر بن عبد دهمان الثقفي ومات رسول الله ﷺ وهو عليها فاذا كان رسول الله ﷺ قد أسس هذا الاساس وأظهر بني أمية لجميع الناس بتوليتهم أعماله فيما فتح الله عليه من البلاد كيف لايقوى ظنهم ولا ينبسط رجاؤهم ولا يحتد في الولاية أملهم أم كيف لايضعف أمل بني

هاشم وينقبض رجاؤهم ويقصر أملهم وكبيرهم العباس بن عبد عبد المطلب وابن أخيه على بن أبى طالب رضى الله عنهما يريد أحدهما استعلام رسول الله ﷺ فى مرض موته عن هذا الامر هل هو فيهم أم فى غيرهم ويأبى الآخر ذلك كما خرج البخارى من حديث الزهرى قال أخبرنى عبدالله بن كعب بن مالك الانصارى أن عبد الله بن عباس أخبره أن على بن أبى طالب رضى الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس ياأبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ قال أصبح بحمد الله بارئا فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال له أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وانى والله لأرى رسول الله ﷺ يتوفى من وجعه هذا وانى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت اذهب بنا الى رسول الله ﷺ فلنسأله فى هذا الامر أن كان فينا علمنا ذلك وأن كان فى غيرنا علمناه فاوصى بنا فقال على أنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فنعناها لا يعطيناها الناس بعده وانى والله لا أسألها من رسول الله ﷺ ورواه محمد بن اسحاق عن الزهرى الا أنه لم يذكر ماقال فى العصا وزاد فى آخره فتوفى رسول الله ﷺ حين اشتد الضحى من ذلك اليوم وفى رواية وخلا العباس بعلى فقال له هل تعلم أن رسول الله ﷺ أوصى الى غيرك بشىء فقال على اللهم لا فخرج العباس لى بغلة

له حتى أتى عسكر أسامة بن زيد فلقى أبا بكر وعمر وغيرهما فقال
هل أوصا كم رسول الله ﷺ بشيء قالوا لا فرجع الى على فقال
أن رسول الله ﷺ مقبوض فامدد يدك أبايعك فيقال عم رسول
الله ﷺ بايع ابن عم رسول الله ويبايعك أهل بيتك فان مثل هذا
الامر لايؤخر فقال يرحمك الله ومن يطلب هذا الأمر غيرنا ياعم وفى رواية
ان العباس قال لعلى هلم يدك أبايعك فقال ان لى برسول الله شغلا
ومن ذلك الذى ينازعنا هذا الأمر ورواية البخارى وعبد الرزاق
اثبت وقال ابن سعد أنا محمد بن عمر حدثنى محمد بن عبد الله بن
اخى الزهرى قال سمعت عبد الله بن حسن يحدث عمى الزهرى
يقول حدثتنى فاطمة بنت الحسين قالت لما توفى رسول الله ﷺ
قال العباس ياعلى قم حتى أبايعك ومن حضر فان هذا الأمر اذا
كان لم يردمثله والأمر فى أيدينا فقال على وأحد يطمع فيه غيرنا
فقال العباس أظن والله سيكون فلما بويع لأبى بكر ورجعوا الى
المسجد سمع على التكبير فقال ماهذا فقال العباس هذا مادعوتك
اليه فأبيت على فقال على أيكون هذا فقال العباس مارد مثل هذا
قط فقال محمد بن عمر قد خرج أبو بكر من عند النبي ﷺ حين
توفى وتخلف عنده على وعباس والزبير فذلك حين قال عباس هذه
المقالة وخرجه عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى بمعناه قال
عبد الرزاق وكان معمر يقول لنا أيهما كان أصوب عندكم رأيا

فنقول العباس فيأبى ثم قال لو أن علياً سأله عنها فاعطاه اياها فمنعه الناس كانوا قد كفروا قال عبدالرزاق فحدثت به ابن عيينة فقال قال الشعبي لو أن علياً سأله عنها كان خيراً له من ماله وولده وروى اسماعيل بن خالد عن الشعبى قال قال العباس لعلى رضى الله عنها حين مرض النبى ﷺ انى أكاد أعرف فى وجه رسول الله ﷺ الموت فانطلق بنا اليه نسأله من يستخلف فان استخلف منا فذاك والا أوصى بنا فقال على للعباس كلمة فيها جفاء فلما قبض النبي ﷺ قال العباس لعلى أبسط يدك فلنبايعك فقبض يده قال الشعبى لو أن عليا أطاع العباس كان خير له من حمر النعم .

وقد رويت مع هذا الحديث أحاديث أخرى أن كانت صحيحة فلا سبيل الى ردها وأن كانت مفتعلة فقد صارت داعية الى الأمر الذي وقع النزاع وطال الخصام عليه منها مارواه ابن الكلبي عن الحكم ابن هشام الثقفى قال مات عبيد الله بن جحش عن أم حبيبة بنت أبى سفيان وكانت معه بأرض الحبشة فخطبها ﷺ الى النجاشى فدعا بالقرشين فقال من أولا كم بأمر هذه المرأة فقال خالد بن سعيد

ابن العاصى انا اولاهم بها قال فزوج نبيكم قال فزوجه ومهر عنه النجاشى أربعمائة دينار فكانت أول امرأة مهرت أربعمائة دينار وحملت الى النبي ﷺ ومعها الحكم بن أبى العاص فجعل النبى ﷺ يكثر النظر اليه فقيل يارسول الله أنك لتكثر النظر الى هذا الشاب فقال أليس بن المخزومية قالوا بلى قال اذا بلغ بنو هذا أربعين رجلا كان الأمر فيهم وكان مروان بن الحكم اذا جرى بينه وبين معاوية بن أبى سفيان كلام قال لمعاوية انى والله لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وما بقى الاعشرة حتى يكون الأمر فى فيقول معاوية أخذها والله من عين صافية فهذا الحديث كما تسمع وقد روى أبو بكر بن أبى شيبة من حديث عبد الله بن عمير قال قال معاوية مازلت أطمع فى الخلافة مذ قال رسول الله ﷺ أن ملكت يامعاوية فأحسن وقال وكيع عن الأعمش عن أبى صالح قال كان الحادى يحدو بعثمان رضى الله عنه ويقول

انّ الأميرَ بعدَه علىّ

وفى الزبير خلَفٌ رضى

فقال كعب الأحبار بل هو صاحب البغلة الشهباء يعنى معاوية فبلغ ذلك معاوية فأتاه فقال يا أبا اسحاق ماتقول هذا وها هنا على والزبير وأصحاب محمد ﷺ قال أنت صاحبها.

وقد جاء من طرق عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « رأيت فى النوم بنى الحكم أو بنى أبى العاصى ينزون على منبرى كما تنزوا القردة » قال فما رؤى النبى ﷺ مستجمعا ضاحكا حتي توفى وعن سعيد بن المسيب قال رأى النبي ﷺ بنى أمية على منابرهم فساءه ذلك فأوحى اليه انما هى دنيا اعطوها فقرت عينه وهى قوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس » يعنى بلاءً للناس وقد روى أن رجلا قام الى الحسن بن على رضى الله عنهما قال « يامسود وجه المؤمنين » فقال لاتؤنبنى رحمك الله فان رسول الله ﷺ قد رأى بنى أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا فساءه ذلك فنزلت « أنا أعطيناك الكوثر » ـ والكوثر نهر فى الجنة ونزلت « انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلةُ القدْر ليلةُ القدْر خيرٌ من الف شهر » يعنى تملك بنى أمية فحسب ذلك فاذا هو لايزيد ولاينقص .

وعن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال اذا بلغ بنو أبى العاصى اربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلا (١) وعباد الله خولا ومال الله دولا قال الزبير بن بكار قال عمى مصعب عن عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن

(١) بهامش الأصل دخلا

الزبير أو غير عبد الله وحدثنيه محمد بن الضحاك الحزامى عن أبيه أن عمرو بن عثمان بن عفان اشتكى وكان العواد يدخلون عليه فيخرجون وتخلف مروان بن الحكم عنده فيطيل فانكرت رملة بنت معاوية ذلك وهى امرأة عمرو بن عثمان نخرّقت كوّة واستمعت على مروان فاذا هو يقول لعمرو ماأخذ هؤلاء الخلافة إلا باسم أبيك فما يمنعك أن تنهض بحقك فلنحن أكثر منهم رجالا منا فلان ومنهم فلان ومنا فلان ومنهم فلان حتى عدّد رجالا ثم قال ومنا فلان وهو فضل وفلان وهو فضل حتى يعدد فضول رجال بنى أبى العاص على بنى حرب فلما رأ عمرو تجهز للحج وتجهزت رملة فى جهازه فلما خرج عمرو الى الحج خرجت رملة الى أبيها فقدمت عليه الشأم فقال لها معاوية واسوأتاه ماللحرة تطلق طلقك عمرو فاخبرته الخبر وقالت ومازال يعدّد فضل رجال بنى أبى العاص على بنى حرب حتى ابنى عثمان وخالد ابنى عمرو فتمنيت انهما ماتا فكتب معاوية الى مروان بن الحكم

أواضعٌ رجْل فوق أخرى تعدنا
عديد الحصا ما ان تزالُ تكاثرُ
وأمكمُ تُزجى تُوأماً لبعلها
وأم أخيكم نزرةُ الولد عاقرُ

وأشهد يامروان انى سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا ودين الله دخلا وعباد الله خولا فكتب اليه مروان أمابعد يامعاويه فانى أبو عشرة وعم عشرة والسلام .

وروى عن معاوية أنه قال لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما انشدك الله يا ابن عباس أما تعلم ان رسول الله ﷺ ذكر هذا يعنى مروان بن الحكم فقال ابو الجبابرة الأربعة فقال ابن عباس اللهم نعم وقد اقتدى برسول الله ﷺ فى ولاية الأعمال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فانه لما استخلف بعد رسول الله ﷺ وارتدت العرب قطع رضى الله عنه البعوث وعقد احد عشر لواء على احد عشر جُنداً فعقد لخالد بن الوليد المخزومى وبعثه لقتال طلَيْحة بن خُويْلد الاسدى ثم مالك بن نويْرة وعقد لعكرمة بن ابى جهل المخزومى وبعثه لقتال مُسيلمة بن ثُمامة بن المطوح بن ربيعة بن الحارث وعقد للمهاجر بن أبي أمية المخزومى وبعثه لقتال جنود الاسود بن كعب بن عوف العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح وعقد لخالد بن سعيد العاصى بن أمية وبعثه إلى مشارف الشأم وعقد الى عمرو بن العاص وبعثه الى قضاعة وعقد لحذيفة بن محصن الملقانى من علقان بن شرحبيل بن عمرو بن

مالك بن يزيد ذى الـكلاع وبعثه الى أهل دبا وهى مدينة قديمة من مدن عمان وعقد لعرفجة بن هرثمـة وبعثه الى مهرة وبعث شرحبيل بن حسنة فى أثر عكرمة بن أبى جهل فاذا فرغ من اليمامة لحق قضاعة وعقد لطُريفة بن حاجم (١) وبعثه الى بنى سـليم ومن معهم من هوازن وعقد لسويد بن مقرن بن عائذ المزنى وبعثه الى تهامة اليمن وعقد للعلاء بن الحضرمى وبعثه الى البحرين فلحق كل أمير بجنده حتى انقضت حروب الردة فبعث أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد لفتح العراق واردفه بغيلان بن غنم ابن زهير بن أبى شـداد بن ربيعة بن هلال بن وهيب الفهرى وأمدهما بالقعقاع بن عمرو وجهز الجنود الى الشأم فبعث خالد ابن سعيد بن العاصى واردفه بذي الـكلاع وعكرمة بن أبى جهل وعمرو بن العاصى والوليد بن عقبة وعقـد ليزيد بن أبى سفيان بن حرب على جيش عظيم هو جمهور من انتدب اليه وجهزه عوضا عن خالد بن الوليد وعقد لابى عبيدة بن الجراح وبعثـه الى حمص وأمد يزيد بن أبى سفيان باخيه معاوية بن أبى سفيان ومعه جيش فنزل أبو عبيدة الجابيـة ونزل يزيد البلقاء ونزل شرحبيل بن حسنة الاردن وقيل بصرى ونزل عمرو بن العاص

(١) ويسميه ابن الأثير ابن حاجز

القريات (١) ولما مات ابو بكر واستخلف من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنهما كانت عماله على مكة نافع بن عبد الحارث الخزاعى وعلى الطائف عثمان بن أبى العاص بن أمية ثم سفيان ابن أبى عبد الله الثقفى وعلى اليمن يعلى بن مُنَبه (٢) وعلى عمان واليمامة حذيفة بن محصن وعلى البحرين العلاء بن الحضرمى ثم عثمان بن أبى العاص وعلى الكوفة سعد بن أبى وقاص ثم المغيرة بن شعبة ثم عمار بن ياسر ثم أبو موسى الاشعرى وعلى البصرة المغيرة بن شعبة ثم أبو موسى الاشعرى وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح ثم يزيد بن أبى سفيان ثم معاوية بن ابى سفيان وعلى الجزيرة عياض بن غنم وعلى مصر عمرو بن العاص رضى الله عنهم أجمعين.

فانظر كيف لم يكن فى عمال رسول الله ﷺ ولا فى عمال أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أحد من بنى هاشم (٣) فهذا وشبهه هو الذى حدد أنياب بنى أمية وفتح أبوابهم وأترع كأسهم وفتل

(١) القريات وأما البكرى فى كتابه معجم ما استعجم يسميها العريات بالعين المهملة

(٢ بالهامش «منية» بالياء المثناه التحتية

(٣) انما لم يجعلوا بنى هاشم عمالا لشرفهم اذ الشريف لايشارف وانما يبقى ليشاور فى الأمور المعضلة

أمراسهم حتى لقد وقف أبو سفيان بن حرب على قبر حمزة رضي الله عنه فقال رحمك الله ابا عمارة لقد قاتلتنا على أمر صار الينا وروى أن الأمر لما أفضى الى عثمان بن عفان اتى أبو سفيان قبر حمزة فركله برجله ثم قال يا حمزة أن الامر الذى كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم وكنا أحق به من تيم وعدي . قال كاتبه وما هى الا الدنيا وأن الدين لعارض فيها والعاجله محبوبة وبهذا ارتفعت رءوس وضعفت نفوس فان دلائل الأمور تسبق وتباشير الخير تعرف ولله فى خلقه قضاء يمضيه ويأبى الله أن يتم شيء من أمر الدنيا الا ويعتريه النقص .

لما كانت بنو هاشم من بنى قريش اختصها الله سبحانه بهذا الأمر أعنى الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب فحازت بذلك الشرف الباقى وكانت أحوال الدنيا من الخلافة والملك ونحوه زائله لهذا أزواها الله تعالى عنهم تنبيها على شرفهم وعلو مقدارهم فأن ذلك هو خيرة الله لنبيه محمد ﷺ كما ثبت أنه ﷺ لما خير اختار ان يكون نبيا عبداً ولم يختر أن يكون نبيا ملكا وسأل مثل ذلك لآله كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث عمارة عن أبي زرعة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وروى أبو عيسى الترمذى من حديث عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم

أبى عبد الرحمن عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك وقال الترمذى هذا حديث حسن وخرج البخارى من حديث ابن أبى ليلى حدثنا على رضى الله عنه أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن فبلغها أن رسول الله ﷺ أتى بسبى فأتته تسأله خادما فلم توافقه فذكرت لعائشة رضى الله عنها فجاء النبى ﷺ فذكرت ذلك عائشة له فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال على مكانكما فقعد بيننا (١) حتى وجدت برد قدميه على صدرى فقال ألا أدلكما على خير مما سألتما اذا أخذتما مضاجعكما فكبرا أربعا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين فان ذلك خير لكما مما سألتما وأخرجه مسلم أيضا ولأبى داود من حديث أبى الورد عن على بن أعبد قال قال لى على رضى الله عنه الا أحدثك عنى وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكانت من أحب أهله اليه قلت بلى قال فانها جرّت بالرحى حتى أثر فى يدها واستقت بالقربة حتى أثر فى نحرها وكنست البيت حتى اغبرت

---

(١) فقعد بيننا هذه الجملة لم تكن فى النسخة المنقول عنها لكنها واردة فى صحيح البخارى

ثيابها فاتى النبي ﷺ خدم فقلت لو أتيت أباك فسالتيه خادما فأتته فوجدت عنده حداثا فرجعت فاتاها من الغد فقال ما كان حاجتك فسكتت فقلت أنا أحدثك يا رسول الله جرت الرحى حتى اثرت فى يدها وحملت القربة حتى اثرت فى نحرها فلما أن جاء الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادما تقيها حر ما هى فيه فقال اتقى الله يا فاطمة وأدى فريضة ربك واعملى عمل أهلك فاذا أخذت مضجعك فسبحى ثلاثا وثلاثين واحمدى ثلاثا وثلاثين وكبرى أربعا وثلاثين فهى خير لك من خادم قالت رضيت عن الله وعن رسوله .

وفى الصحيحين وغيرها من حديث عامر بن سعد عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال انى لأعطي الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكب فى النار على وجهه وفى رواية فوالله أنى لأعطى الرجل وادع الرجل والذى أدع أحب الى من الذى أعطى ولكنى اعطى أقواما لما أرى فى قلوبهم من الجزع والهلع فأكل اقواما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير ومن حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي ﷺ فانى أعطى رجالا حديثى عهد بكفر أتألفهم وروى ابن وهب عن عمرو بن الحارث أن بكرا بن سوادة (١) حدثه أن أبا سالم الجيشانى حدثه عن أبى ذر رضى الله عنه

(١) او بن جناده

أن رسول الله ﷺ قال له كيف ترى جعيلا (١) قال قلت كشكله من الناس قال فكيف ترى فلانا قلت سيدا من سادات الناس قال فجعيل خير « من » ملء الأرض « ذهبا » أو ألفا ونحو ذلك من فلان قال قلت يا رسول الله ففلان هكذا وأنت تصنع به ما تصنع قال أنه رأس قومه وأنا اتألفهم به .

قال جامعه وهـذا على بن أبي طالب رضى الله عنه كان يعلم أن رسول الله ﷺ يربأ ببنى هاشم من ولاية الاعمال كما ثبت فى صحيح مسلم وغيره من حديث مالك عن ابن شهاب أن عبد الله بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب حدثه أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث حدثه قال اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب فقالا والله لو بعثنا هذين الغلامين « قال لى وللفضل بن العباس » الى رسول الله ﷺ فكلماه فأمرهما على هذه الصدقات فأديا ما يؤدى الناس وأصابا مما يصيب الناس قال فبيناهما فى ذلك جاء على بن أبي طالب رضى الله عنه فوقف عليهما فذكرا له ذلك فقال لاتفعلا فوالله ماهو بفاعل

---

(١) هو جعيل بن سراقة الغفارى وقيل الضمرى

فانتحاه (١) ربيعة بن الحارث فقال والله ما تصنع هذا ألا نفاسة (٢) منك علينا فوالله لقد نلت صهر رسول الله فما نفسناه عليك قال علي ارسلوهما فانطلقا واضطجع فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سبقناه الى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا ثم قال أخرجا ما تسرران ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب بنت جحش قال فتواكلنا الكلام ثم تكلم أحدنا فقال يا رسول الله أنت أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا النكاح يعني «الحلم» فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدي اليك كما يؤدي الناس ونصيب كما يصيبون فسكت طويلا حتى اردنا أن نكلمه وجعلت زينب تلمع (٣) الينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه قال ثم قال أن الصدقة لا تنبغي لآل محمد انما هي أوساخ الناس ادعو الى محمية وكان على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب فجاءا فقال لمحمية انكح هذا الغلام ابنتك فأنكحه وقال لنوفل بن الحارث انكح هذا الغلام ابنتك لي فانكحني وقال لمحمية أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا فهذا أعزك الله

---

(١) انتحاه يعني عرض له وقصده

(٢) نفاسة يعني حسدا فما نفسناه عليك أي حسدناك عليه

(٣) تلمع يعني تشير بثوبها أو بيدها

وان كان انما فيه منع بنى هاشم من تناول الصدقة لأنها محرمة عليهم فان رسول الله ﷺ انما كانت أعماله التى يستعمل عليها عماله على قسمين أما للحرب أو على الصدقات فمنع رسول الله ﷺ بنى هاشم من العمل على الصدقة بنصيب العامل وهو الصحيح أنهم لايستعملون عليها تنزيها لهم ولبنى المطلب عن أوساخ الناس لكرامتهم وقد كان غير واحد من فضلاء الصحابة رضى الله عنهم يعلم أن آل البيت أرفع قدرا عند الله من أن يبتليهم باعمال الدنيا منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما لما خرج الحسين ابن على رضى الله عنهما يريد العراق وقد كتب اليه شيعتهم بالبيعة وحثوه على مسيره اليهم ليقوم بأمر الأمة بدل يزيد بن معاوية لحقه عبد الله على مسيرة ليلتين وقال اين تريد قال العراق قال لاتأتهم قال هذه كتبهم وبيعتهم فقال ان الله عز وجل خير نبيه ﷺ بين الآخرة والدنيا فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا وانك بضعة من رسول الله ﷺ والله لايليها أحد منكم وماصرفها الله عنكم الا للذى هو خير لكم فارجع فابى الحسين وقال هذه كتبهم وبيعتهم فاعتنقه عبد الله بن عمر وقال استودعك الله من قتيل فكان كما قال ابن عمر وكذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما للحسين والله يا ابن أخى ما كان الله ليجمع لكم بين النبوة والخلافة وهذا من فقههما وقد أشار الحسن بن على رضى الله عنهما الى

ذلك فى خطبته لما ترك الخلافة التى صارت اليه بعد أبيه وتنزه عنها وترفع عن منازعة معاوية رضى الله عنه فلما دخل معاوية الكوفة اشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر الحسن فيخطب الناس ظنا منه انه يعيا فخطب معاوية ثم أشار الى الحسن أن يخطب فقام فحمد الله ثم قال « أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا وأن لهذا الأمر مدة والدنيا دول وان الله عز وجل قال لنبيه ﷺ « وإنْ أدْرى لعله فتنةٌ لكمْ ومَتاعٌ إلى حين » فلما قالها قال له معاوية اجلس وحقدها على عمرو وقال هذا من رأيك فصدق الحسن عليه السلام فيما قاله .

ذهب بعضهم الى أن السر فى خروج الخلافة بعد رسول الله ﷺ عن على بن أبى طالب الى أبى بكر وعمر ثم عثمان أن علياً لو ولى الخلافة حينئذ وهو أبو الحسنين لأوشك أن يقول قائل ويتخيل متخيل انه ملك متوارث لايكون إلا فى أهل البيت كما تزعمه الرافضة فصان الله العقائد من هذه الشبهة كما صانها من شبهة قول القائل عن النبي ﷺ هو رجل يطلب ملك أبيه وهو معنى حسن ولهذا السر جعل ﷺ الخلافة لعامة قريش ولم يخص بها أهل بيته بل ولا بنى هاشم حتى لايتخيل انه ملك متوارث والله اعلم

وقد ظهر لى أن ولاية رسول الله ﷺ بنى أمية الأعمال

كانت اشارة منه ﷺ الى أن الأمر سيصير اليهم ولى بحمد الله في هذا النحو خير سلف واجل قدوة منهم سعيـد بن المسيب رحمه الله قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الاشعرى رضي الله عنه في حديث جلوس رسول الله ﷺ على بئر أريس ودخول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وجلوسهما عن يمينه وشماله معه ﷺ في القُف ودخول عثمان بن عفان رضي الله عنه وجلوسه وجاههم من الشق الآخر وان سعيـد بن المسيب قال فتأوَّلت ذلك قبورهم اجتمعت ها هنا وانفرد قبر عثمان رضي الله عنه وثبت من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نحر في حجته التي يقال لهـا حجة الوداع ثلاثا وستين بدنة فكان في نحره هذا العدد من البدن إشارة إلى أن مدة حياته ﷺ ثلاث وستون سنة وثبت من حديث أبي سعيـد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إنّ أمنّ النـاس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا الا خلة الاسلام لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر » فكان أمر رسول الله ﷺ بإبقاء خوخة أبي بكر رضي الله عنه في المسجد مع منع النـاس كلهم من ذلك اشارة ودليلا على خلافته بعد رسول الله ﷺ وأن ذلك من رسـول الله ﷺ تنبيهاً للناس بأن أبا بكر رضي الله عنه يصير أمام المسلمين ويخرج

من بيته إلى المسجد كما كان رسول الله ﷺ يخرج .ذكره بن بطال وقد جعل جمهور الصحابة رضى الله عنهم استخلاف رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه فى الصلاة وهو مريض دليلا واشارة الى انه الخليفة من بعد رسول الله ﷺ وقالوا قد رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا . وثبت فى الصحيح من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه قال كان عمر رضى الله عنه يدخلنى مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله فقال أنه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم وما أريته دعانى يومئذ إلا ليريهم منى فقال ماتقولون فى « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا » حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وقال بعضهم لا ندرى أو لم يقل بعضهم شيئا فقال لى يا ابن عباس اكذا هو قلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له يقول إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره أنه كان توابا قال عمر ما أعلم

منها ألا ما تعلم فهذا فهم الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وهم القدوة وبهم الاسوة وفقنا الله لاتباعهم.

اياك والاعتراض على ما تقدم بأخذ بنى العباس بن عبد المطلب ابن هاشم الخلافة وأنهم أقاموا خلفاء نيفا على خمسماية سنة وعشرين سنة فان الخلافة انما صارت اليهم بعد ما ضعف أمر الدين وتخلخلت أركانه (١) وتداول الناس أمر الأمة بالغلبة. فأخذها حينئذ بنو العباس بأيدى عجم أهل خراسان ونالوها بالقوة ومناهضة الدول ومشاورة الملوك حتى أزال عجم خراسان دولة بنى أمية وتناولوا العز كيف كان فما وصل أمر الامة الى أهل العدالة والطهارة ولا وليهم ذوو الزهادة والعبادة ولا ساسهم أرباب الورع والامانة بل استحالت الخلافة كسرويه وقيصرية بحيث ان ابراهيم الامام ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس لما وجه أبا مسلم الخراسانى الى دعاته بخراسان ووصاهم أن يسمعوا له ويطيعوا قال له انك رجل منا أهل البيت احفظ وصيتى انظر هذا الحى من اليمن فأكرمهم واسكن بين أظهرهم فأن الله لا يتم هذا الأمر ألا بهم وأنهم ربيعة فى أمرهم وأما مضر فأنهم العدو القريب الدار واقتل من شككت فيه وأن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل وايما غلام بلغ خمسة أشبار

---

(١) وبعد أن امتزج بنو هاشم بالتزاوج والتناسل مع غيرهم ولم يعودوا من صميم هاشم

تهمه فاقتله فأين أعزك الله هذه الوصية من وصايا الخلفاء الراشدين لعمالهم وتالله لو توجه أبو مسلم إلى أرض الحرب ليغزو أهل الشرك بالله لما جاز أن يوصى بهذا فكيف وانما توجه الى دار الاسلام وقتال أبناء المهاجرين والانصار وغيرهم من العرب لينتزع من أيديهم مافتحه آباؤهم من أرض الشرك ليتخذ مال الله دولاً وعبيده خولا فعمل أبو مسلم بوصية ابراهيم الامام حتى غلب على ممالك خراسان وتخطت عساكره الى العراق فيقال انه قتل ستمائة الف انسان وسار فى الناس بالعسف والجبرية فمن سيىء سيرته أنه لما قوى أمره وصار فى عسكر ودخل مرو فى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين ومائة واستولى عليها أراد الغدر بنصر ابن سيار وقد آنسه وبسطه وضمن له أن يكف عنه ويقوم بشأنه عند الامام فبعث اليه مع لاهز بن قريط وسليمان بن كثير وعمران بن اسماعيل وداود بن كراز يعلمه أن كتابا أتاه من الامام يعده فيه ويمنيه ويضمن له الكرامة ويقول له انى أريد مشافهته وأقرأ كتاب الامام عليه يريد بذلك أنه اذا أتاه قبض عليه فلما أتته الرسل تلا لاهز قول الله تعالى « إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ » فتنبه نصر على ما أراده من تحذيره فقال أنا صائر معكم الى الامير أبى مسلم ودخل بستانا له كأنه يريد أن يلبس ثيابه ويركب دابته وهرب الى الرى وسأل أبو مسلم عنه فأخبر

بتلاوة لاهز الآية فقال له يالاهز أعصبية فى الدين قوما فاضربا عنقه فضربت عنق لاهز وكان سليمان بن كثير الخزاعى أحد نقباء الدعوة فقتله أبو مسلم لأنه كره سيرته وأخذ عنقود عنب وقال اللهم سود وجه أبى مسلم كما سودت هذا العنقود واسقنى دمه وقال أيضا حفرنا نهراً بأيدينا فجاء غيرنا فأجرى فيه الماء يعنى أبا مسلم وقتل زياد بن صالح من أجل انه بلغه عنه أنه يقول انما بايعنا على اقامة العدل واحياء السنن وهذا جائر ظالم يسير بسير الجبابرة وأنه مخالف وكان لزياد بلاء حسن فى اقامة الدولة فلم يرع له فغضب عيسى بن ماهان مولى خزاعة لقتل زياد ودعا لحرب أبى مسلم سراً فاحتال عليه بان دس الى بعض ثقاته بقتله فكتب اليه أن رسول أمير المؤمنين يعنى السفاح قد قدم على الأمير بخلع وبر له وللأولياء فصر الينا لتشركنا فى أمرنا فقدم عليه فأخذه وادخله جوالق وضربه بالخشب حتى قتل وكان أفلح ابن مالك بن اسماء بن خارجه الفزارى بخرسان وكان صديقا لأبى مسلم يلاعبه الشطرنج ويؤانسه وكان ذا قدر بخراسان فلما ظهرت الدعوة قدم على أبى مسلم وقال :

قُلْ للأمير أمينَ الامام

وَصِىْ وَصِىْ وَصِىْ الوصى

أتيتك لا طالباً حاجةً
وَمالىَ فى أرضِكمْ منْ كَفِىْ

فكان أبو مسلم يبره ويكرمه ثم أمر بقتله فقيل له صديقك وأنيسك فقال رأيته ذا همة وأبهة فقتلته مخافة أن يحدث حدثا وكان لا يقعد على الارض اذا قعدت على السرير ولقد كان على كريما وكنت له محبا فعير أبو جعفر المنصور أبا مسلم بقتله فيما عيره به لما عزم على قتله وكان أبو مسلم يخدم يونس بن عاصم فابتاعه منه بكير بن ماهان باربعماية درهم وبعث به الى ابراهيم الامام فلما ملك أبو مسلم مرو قدم عليه يونس ابن عاصم فاكرمه غاية الاكرام ثم دس اليه رجلا فقال سله عن حاله عندى ولم أكرمته فسأله فقال كنت قهرمانا له ناصحا فقال له ابو مسلم أبيت الا كرما فقال يا ابن اللخناء أردت أن أقول انك كنت لى خادما فتقتلنى فبالله أسألك لو لم أقلب المعنى ما كنت فاعلا قال قد والله كنت قدرت موضع خشبتك قال أكان هذا جزائى قال ومن جازيناه بجزائه وضعت سيفى فلم يبق بر ولا فاجر الا قتلته ومثل هذا كثير وما زال يسعى بجهده حتى أزال دولة بنى أمية وأقيم عبيد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح فبعث عمه عبد الله بن على لقتال مروان بن محمد فقتله وبطش فى أهل الشام بطش الجبارين وسار من الجور سيرة

لم يسرها أحد قبله وذلك أنه لما هزم مروان بالزاب وغلب على
بلاد الشام وقتل أهل دمشق وهـدم سورها وسار الى فلسطين
نادى وهو على نهر أبى فطرس فى بنى أمية بالأمان فاجتمعوا اليه
فعجلت الخراسانية اليهم بالعمد فقتلوهم وقتل عبد الله جماعة منهم
ومن أشياعهم وامر بنبش قبر معاوية بن أبى سفيان فما وجدمنه
الا خط(١)ونبش قبر يزيد بن معاوية فوجد منه سلاميات رجله
ووجد من عبد الملك بن مروان بعض شؤون رأسه ولم يوجد من
الوليد وسليمان ابنى عبد الملك الارفات .ووجدهشام صحيحا إلا
شيئا من أنفه وشيئا من صدغه فضرب عدة سياط وصلب ووجدت
جمجمة مسلمة بن عبد الملك فاتخذت غرضا حتى تناثرت ولم يعرض
لعمر بن عبد العزيز وجمع ما وجـد فى القبور وأحرق وخطب
عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان زوج هشام
ابن عبد الملك بن مروان فأبت عليه التزويج فامر بها فبقر بطنها
وجعلت حين أتى بها ليبقر بطنها وتقتل تنشد :

فقل للشامتين بنا أفيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا

فهذه سيرة عبد الله بن على .وولى السفاح ابن أخيه ابراهيم
ابن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله سـنة ثلاث وثلاثين ومائة
الموصل فدخلهـا فى اثنى عشر الفا فأول ما بدأ به أن دعا أهل

(١) خط اوخيط

الموصل فقتل منهم اثنى عشر رجلا فنفر أهل البلد وحملوا السلاح فنادى من دخل الجامع فهو آمن فأتاه الناس يهرعون اليه فأقام الرجال على أبواب الجامع وقتل الناس فيه قتلا ذريعا تجاوز فيه الحد واسرف فى المقدار فيقال انه قتل أحد عشر الف انسان ممن له خاتم سوى من ليس فى يده خاتم وهم عدد كثير جدا بحيث لم ينج من رجال الموصل مع كثرتهم الا نحو اربعماية رجل صدموا الجند فافرجوا لهم فلما كان الليل سمع صراخ النساء اللاتى قتل رجالهن فامر من الغد بقتلهن . فاقام رجـاله ثلاثة أيام يقتلون النساء والصبيـان وكان فى عسكره قائد معه أربعة آلاف عبد زنجى فاخذوا النساء قهرا فلما فرغ ابراهيم من قتـل الناس فى اليوم الثالث ركب فى اليـوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف المسلولة فاخذت امرأة بلجام دابتـه فاراد أصحابه قتلها فكفهم عنهـا فقالت له ألست من بنى هاشم الست ابن عم رسـول الله ﷺ أما تأنف للعربيات المسلمات أن ينكحهن الزنوج فلم يجبها وبعث معها من بلغها مأمنهـا ثم جمع من الغد الزنوج للعطاء وقتلهم عن آخرهم ثم أمر بان لا يترك فى الموصل دكيك الا نبح ولا كلب الا عقر فنفذ ذلك فكانت هذه فعلة لم تسمع باقبح منهـا الا ما كان من السفاح فان زوجته أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم المخزومية قالت له يا أمـير المؤمنين لأى شى

استعرض ابن أخيك أهل الموصل بالسيف فقال لها وحياتك ما أدرى ولم يكن عنده من انكار هذا الأمر الفظيع سوى هذا ولعمرى لقد فاق فرعون فى فساده وأربى عليه فى عتوه وعناده. وأن السفاح بما فعله ابن أخيه قد صار يسوم أمة محمد ﷺ من سوء العذاب أشد وأقبح ما كان فرعون يسوم بنى اسرائيل منه فكيف بها اذا ضمت مع ماحكاه البلاذرى قال كان أبو العباس يعنى السفاح يسمع الغناء فاذا قال للمغنى احسنت لم ينصرف من عنده الا بجائزة وكسوة فقيل له أن الخلافة جليلة فلو حجبت عنك من يشاهدك على النبيذ فاحتجب عنهم وكانت صلاته قاعة لهم فأين هذا من الهدى النبوى وسير أئمة الهدى فما أبعده عن هداهم ولله در القائل :

نزلوا بمكة فى قبائل نوفل
ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وأما أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فأنه تريى بزى الأكاسرة وجعل أبناء فارس رجالات دولتهم كبنى برمك وبنى نوبخت وأحدث تقبيل الأرض وتحجب عن الرعية وترفع عليهم بحيث أن عقال بن شبة قال له أحمد الله فقد جزت مدى الخلفاء فغضب المنصور فقال كبرت يا عقال وكبر كلامك

ففطن وقال أجل لقد اخزن سهلى واضطرب عقلى وأنكرنى أهلى ولا أقوم هذا المقام بعد يومى فلم يعش المنصور بعد ذلك الا شهرين وأياما حتى أن الربيع حاجبه ضرب رجلا شمت المنصور عند العطسة فلما شكا ذلك الى المنصور قال أصاب الرجل السنة وأخطأ الادب فاين قول أبى جعفر هذا من حديث النبوة الناطقة والامامة الصادقة ووالله ما الأدب كله الا فى السنة النبويه فانها هى الجامعة للأدب النبوى والأمر الالهى لكنه غلب على القوم الجبروت ودخلت النعرة فى آنافهم وظهرت الخنزوانية بينهم فسموا عوائد العجم أدبا وقدموها على السنة التى هى ثمرة النبوة فزادهم ذلك جفاء وقسوة حتى أن أبا جعفر كان ممن بايع محمد بن عبد الله بن الحسن بن على ابن أبى طالب ليلة تشاور بنو هاشم فيمن يعقدون له الامامة وذلك حين اضطربت أمور بنى أمية فلما أقيم أبو العباس عبدالله بن محمد السفاح فى الخلافة وعهد بها عند وفاته لاخيه أبى جعفر عبد الله ابن محمد المنصور وقام من بعده بالأمر أهمه أمر محمد بن عبد الله وأخيه ابراهيم وألح على أبيهما عبد الله بن الحسن أن يحضرهما اليه لما حج وكان قد شردهما خوف جوره ثم حبس عبدالله وعدة من بنى حسن ومعهم محمد الديباج بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان وهو أخوهم لأمهم فاطمة بنت أبى عبد الله الحسين بن

على بن أبى طالب وجعل القيود والاغلال فى أرجلهم وأعناقهم وأركبهم محامل بغير وطاء وسار بهم كذلك من المدينة النبوية وطنهم ووطن آبائهم حتى قدموا عليه وهو بالربذه فامر بالديباج فشقت عنه ثيابه وضرب خمسين ومائة سوط فأصاب سوط منها وجهه فقال ويحك اكفف عن وجهى فان له حرمة برسول الله ﷺ فقال المنصور للجلاد الرأس الرأس فضرب على رأسه نحوا من ثلاثين سوطا فاصاب احدى عينيه سوط منهسا فسالت على خده ثم قتله . ومضى ببنى حسن الى الكوفة فسجنهم بقصر ابن هبيرة وأحضر محمد بن ابراهيم بن حسن وأقامه ثم بنى عليه اسطوانة وهو حى وتركه حتى مات جوعا وعطشا ثم قتل أكثر من معه من بنى حسن وكان ابراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فيمن حمل مصفدا بالحديد من المدينة الى الأنبار وكان يقول لأخوته عبد الله والحسن أعوذ بالله من مناطيهن منايا تمنينا ذهاب سلطان بنى أمية واستبشرنا بسلطان بنى العباس ولم يكن قد انتهت بنا الحال الي ما نحن عليه .

وقد قتل أبو جعفر أيضا اسماعيل الديباج بن ابراهيم الغمر ومحمد بن ابراهيم قيل دفنه حيا .

وكان لابى القاسم الرسى بن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل الديباج ضيعة بالمدينة يقال لها الرس فلم يسمح له أبو جعفر بالمقام

ـيها حتى طلبه ففر الى السند وقال

لم يروه ما أراق البغى من دمنا

فى كل أرض فلم يقصر من الطلب

وليس يشفى غليلا فى حشاه سوى

أن لايرى فوقها ابن لبنت نبي

وكتب صاحب السند الى أبي جعفر أنه وجـد فى خـان

ـبالمولتان مكتوبا يقول القاسم بن ابراهيم طباطبا العلوى انتهيت

الى هذا الموضع بعد أن انتعلت الدم من المشى وقد قلت

عسى منهل يصفو فتروى ظمئـة

أطـال صداها المشرب المتـكدر

عسى جابر العظم الـكسير بلطفه

سيرتاح للعظم الـكسير فيجبر

عسى صور أمسى لها الجور حاقنـاً

سيبعثها عدل يحى فتظهر

عسى الله لاتيـأس عن الله أنه

ييسر منـه ما يعز ويعسر؟

فكتب اليه قد فهت كتابك وأنا وعلى وآهله كما قيل

نحاول اذلال العزيز لأنه

بدأنا بظلم واستمرت مرائره

واستحلف ريطة امرأة ابنه محمد المهدى أن لاتفتح بيتاعرضه عليها الا مع المهدى بعد وفاته ففتحته مع المهدى فاذا فيه من قتل من الطالبيين وفى آذانهم رقاع فيهاأنسابهم وفيهم أطفال فأمر المهدى فحفرت لهم حفرة ودفنوا فيها فاين هذا الجور والفساد من عدل الشريعة المحمدية وسيرة أئمة الهدى وأين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من رحمة النبوة وتالله ما هذامن الدين فى شىء بل هو من باب قول الله سبحانه « فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم

وكان أبو الجهم بن عطية مولى باهلة من أعظم الدعاة قدرا وأعظمهم غناء وهو الذى أخرج أبا العباس السفاح من موضعه الذى أخفاه فيه أبو سلمه حفص بن سليمان الخلال وحرسه. وقام بأمره حتى بويع بالخلافة فكان أبو العباس يعرف له ذلك وكان أبو مسلم يثق به ويكاتبه فلما استخلف أبو جعفر المنصور وجار فى أحكامه قال أبو الجهم ما على هذا بايعناهم أنما بايعناهم على العدل

فأسرها أبو جعفر فى نفسه ودعاه ذات يوم فتغدى عنده ثم سقاه شربة من سويق لوز فلما وقعت فى جوفه هاج به وجع فتوهم أنه قد سم فوثب فقال له المنصور الى أين يا أبا الجهم فقال الى حيث أرسلتني ومات بعد يوم أو يومين فقال

أحذر سويق اللوز لاتشربنه

فشرب سويق اللوز أردى أبا الجهم

واما غدره بأبي مسلم فغير خاف على رواة الأخبار وكان أشد ما يحقده عليه كتابه اليه «أما بعد فاني اتخذت أخاك اماما وكان فى قرابته برسول الله ﷺ ومحله من العلم على ما كان ثم استخف بالقرآن وحرفه طمعاً فى قليل من الدنيا قد نعاه الله لأهله ومثلت له ضلالته على صورة العدل فأمرنى أن أجرد السيف وآخذ بالظنة ولا أقبل معذرة وأن اسقم البرىء وأبرىء السقيم وأثر أهل الدين فى دينهم وأوطأنى فى غيركم من أهل بيتكم العشوة بالافك والعدوان ثم أن الله بحمده ونعمته استنقذنى بالتوبة وكره ألى الحوبة فأن يعف فقديما عرف ذلك منه وأن يعاقب فبذنوبى وما الله بظلام للعبيد » وكتب اليه أبو جعفر قد فهمت كتابك والعدل على أهل بيته أطاعته ونصرته ومحاماته وجميل بلائه مقال ولم يرك الله فى طاعتنا الا ما تحب فراجع أحسن نيتك وعملك ولا يدعونك ما

نكرته الى التجنى فأن المغيظ ربما تعدى بالقول فأخبر بما لا يعلم والله ولى توفيقك وتسديدك فاقدم رحمك الله مبسوطا فى أمرنا محكما فيما هويت الحكم فيه ولا تشمت الأعداء بك وبنا أن شاء الله » فقدم عليه وقتله فانظر أعزك الله ألى كتاب أبى مسلم يفصح لك عن سيره القوم ولن تجد أخبر بهم منه ثم انظر الى كتاب أبى جعفر جوابا له كيف لم ينكر عليه مارماهم به ولا كذبه فى دعواه ذلك يحقق عندك صدقه ولا يوحشك هذا من أخبارهم بل ضمه ألى وصية ابراهيم الامام تجدهما قد خرجا من إل واحد وكان عبد الله بن دادبه وهو المقفع قد كتب لعبدالله بن على أمانا حين أجاب أبو جعفر الى امانه فكان فيه فأن عبدالله (ابن)(١) عبد الله أمير المؤمنين إن لم يف بما جعل لعبدالله بن على فقد خلع نفسه والناس فى حل وسعة من نقض بيعته فانكر أبو جعفر ذلك وأكبره واشتد له غيظه على ابن المقفع وكتب الى سفيان بن معاوية عامله على البصرة اكفنى ابن المقفع ويقال انه شافهه بذلك عند توديعه اياه فجاءه ابن المقفع يوما فادخله حجرة ثم سجر له تنورا فالقاه فيه وهو يصيح ياأعوان الظلمة وقيل أنه القى فى بئر وأطبق عليه حجر وقيل أدخل حماماً فلم يزل فيه حتى مات وقيل دقت عنقه وقطع عضواً عضواً وألقيت اعضاؤه فى النار وهو يراه ويصيح صياحا

(١) كلمة ابن بين القوسين ليست فى الأصل .

شديداً وقيل القى فى بئر النورة فى الحمام وأطبق عليه صخرة فمات وشكا بنو على بن عبد الله ما صنع سفيان بابن المقفع الى أبى جعفر المنصور فامر بحمل سفيان اليه فلما جىء به وجاء عيسى ابن على وغيره ليشهدوا عليه أن ابن المقفع دخل داره فلم يخرج وصرفت دوابه وغلمانه يصرخون وينعونه وجاء عيسى بتاجرين يثبتون الشهادة على قتله فقال لهم المنصور أرأيتكم أن أخرجت ابن المقفع اليكم ماذا تقولون فانكسروا عن الشهادة وكف عيسى عن الطلب بدم ابن المقفع وكان سديف بن ميمون مولى آل أبى لهب (١) مائلا الى أبى جعفر فلما استخلف وصله بالف دينار ثم أنه اتصل بمحمد وابراهيم ابنى عبد الله بن حسن حتى قتلا فاختفى حتى امنه عبد الصمد بن على والى المدينة فلما قدمها أبو جعفر جد فى طلبه حتى ظفر به فجعله فى جوالق وضرب حتى كسر ثم رمى به فى بئر وبه رمق حتى مات فهذا وأمثاله من سيرته خلاف سنن المهدى وكان الفضل بن الربيع يمنع عائد الخليفة أن يسأل عن شىء يقتضى جوابا ويقول اجعلوا عيادتكم دعاء فاذا أردت أن تقول كيف أصبح الامير فقل صبح الله الأمير بالكرامة وان أردت السؤال عن حاله فقل انزل الله على الامير الشفاء والرحمة فان المسألة توجب الجواب وان لم يجبك اشتد عليك وان أجابك

(١) بهامش الأصل مكتوب آل الملهب

اشتد عليه وكانت الخلفاء اذا عطست شمتت فعطس هرون الرشيد فشمته رجل فقال له الفضل لا تعد اتكلف امير المؤمنين ردا وجوابا فجروا على ذلك فيما بعد .

وهذا المأمون عبد الله بن هارون الرشيد قد أثر في الاسلام أقبح أثر وهو انه عرب كتب الفلسفة حتى كاد بها أهل الزيغ والالحاد الاسلام وأهله وحمل مع ذلك الناس كافة على القول بخلق القرآن وامتحنهم فيه أشد محنة وأكثر من شراء الاتراك وتغالى في أثمانهم حتى كان يشترى المملوك منهم بمائتى الف درهم واقتدى به أخوه أبو اسحاق المعتصم فاشتد على الناس في امتحانهم بالقول بخلق القرآن وانتهك اعراضهم وبرح بالضرب الشديد أبشارهم وأخرج العرب قوم رسول الله ﷺ الذين أقام الله بهم دين الاسلام من الديوان وأسقط عطاءهم فسقط ولم يفرض لهم بعده عطاء وأقام بدلهم الأتراك وخلع لباس العرب وزيهم ولبس التاج وتزى بزى العجم الذين بعث الله نبيه محمد ﷺ بقتاهم وقتالهم فزالت به وعلى يديه الدولة العربية وتحكم منذ عهده وأيام دولته الأتراك الذين أنذر رسول الله ﷺ بقتالهم فغلبوا من بعده على الممالك وسلطهم الله على ابنه جعفر المتوكل فقتلوه ثم قتلوا ابن ابنه احمد المستعين وتلاعبوا بدين الله وتغلبوا على الأطراف كلها وفعل المتوكل

جعفر بن المعتصم فى خلافته من الانهماك في الترف المنهى عنه ما يقبح مثله من آحاد الرعية وجهر بالسوء من القول فى أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضى الله عنه حتى قتله الله بيد أعوانه وأنصار دولته فقام من بعده ابنه محمد المنتصر فأتى بطاقة لم يسمع فى الجور نظيرها وهو أنه كتب الى الآفاق بأن لا يقبل علوى ضيعة ولا يركب فرسا الى طرف من الأطراف وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد ألا العبد الواحد ومن كان بينه وبين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب(١) ببينه وقرىء هذا الكتاب على منبر مصر فبالله هل سمع فى أخبار الجائرين أهل العناد والشقاق بمثل ماأمر به هذا الجائر . لاجرم أن الله أخذه ولم يمهله فكانت دولته ستة أشهر ومازالت أمور الاسلام تتلاشى والدولة تضعف ألى أن انتقل الملك والدولة فى آخر أيام المتقى ابراهيم بن جعفر المقتدر واول أيام خلافة المستكفى عبدالله بن المكتفى من بنى العباس الى بنى بويه الديلمى (٢) فلم يبق بيد بنى العباس من الخلافة الا اسمها فقط من غير تصرف فى ملك بحيث صار الخليفة منهم فى مدة الدولة البويهية ثم فى الدولة السلجوقية انما هو كأنه رئيس الاسلام لا أنه ملك ولا

---

(١) فى الاصل يطلب

(٢) » » الديلم

حاكم تتحكم فيه الديلم ثم السلجوقية كتحكم المالك فى مملوكه كما هو معروف فى كتب التاريخ وما زالت ضعفة بنى العباس مع الديلم ومع الاتراك منذ استولى معز الدولة أحمد بن بويه ببغداد فى جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة تحت الحكم الى ان قتلوا عن آخرهم وسبي حريمهم وهدمت قصورهم وهلكت رعاياهم على يد عدو الله هولاكو وكانوا هم السبب فى ذلك كما قد ذكر فى سيرة الناصر احمد بن المستضىء وقد ثبت فى الصحيح من حديث معاوية انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم أحد الا اكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » وروى وكيع عن كامل أبى العلاء عن حبيب بن أبى ثابت عن عبيد الله بن عبد الله عتبة قال قام رسول الله ﷺ فقال يا معشر قريش أن هذا الامر لا يزال فيكم حتى تحدثوا أعمالا تخرجكم منه فاذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه فالتحوكم كما يلتحى القضيب وهو حديث مرسل وعبيد الله هذا هو بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود وأبو عبد الله الهذلى المدنى الاعمى أحد الفقهاء السبعة مات سنة تسع وتسعين.

وقد اتفق فى الخلافة الاسلامية كما اتفق فى الملة الموسوية حذو القذة بالقذة وذلك ان العرب كلها ترجع الى قحطان وعدنان فيقال لسائر قحطان اليمن ويقال لسائر بنى عدنان المضرية والزارية

وافخاد وفصائل وما بينهما من الآباء يعرفها أهلها قال الله جلت قدرته « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » فالشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أكبر من القبيلة وقيل الشعب هو الحى العظيم مثل ربيعة ومُضر والأوس والخزرج سموا بذلك لتشعبهم واجتماعهم كتشعب أغصان الشجر وقيل الشعب القبيلة نفسها وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر أمر العرب شعوبى والقبائل جمع قبيلة والقبيلة من الناس بنو أب واحد وهى دون الشعب كبكر من ربيعة وتميم من مضر وقيل القبيلة الجماعة التى تكون من واحد ويقال لكل جمع على شىء واحد قبيل . قال تعالى « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » واشتقت القبيلة من قبائل الشجر وهى اغصانها وقيل أخذت من قبائل الرأس وهى أطباقها الأربع لأن العمائر تقابلت عليها والعمائر واحدها عمارة وهى أصغر من القبيلة وقيل العماره هى الحى العظيم الذى يقوم بنفسه فدودان (١) إبن أسد عمارة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون واحدها بطن وهو دون القبيلة وقيل دون الفخذ وفوق العمارة فالبطن يجمع الافخاذ وفخذ الرجل حيه من

(١) ذودان

أقرب عشيرته اليه ثم الفخذ يجمع الفصائل وفصيلة الرجل عشيرته ورهطه الادنون وقيل الفصيلة أقرب آباء الرجل اليه فكنانة قبيلة وقريش عمارة . وقصي بطن وهاشم فخذ . وبنو العباس فصيلة .

وكما أن الله جعل العرب شعوبا وقبائل فقد جعل بني اسرائيل اسباطا فالسبط من بني اسرائيل كالقبيلة من العرب وبنو اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل صلوات الله عليهم اثنا عشر سبطا وهم يوسف النبي وبنيامين وكاد ويهوذا ونفتالي وزبولون وشمعون وروبين ويساخار ولاوى وزان وياشر . فكل ولد من هؤلاء الاثنى عشر يقال له سبط . ومنهم كلهم سائر بني اسرائيل فاذا عرفت ذلك فاعلم أن موسى صلوات الله عليه هو موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم فهو من سبط لاوى فلما مات لم يخلفه في بني اسرائيل أحد من سبط لاوى الذين هم قرابته القريبة وانما خلفه يوشع وهو من سبط افرائم بن يوسف وهو بعيد من سبط لاوى وذلك أنه يوشع بن نون بن اليشماع بن عميهود بن لعدان بن تالح بن راشف بن بريعا بن افرائم بن يوسف النبي بن يعقوب عليهما السلام وهكذا وقع في الاسلام فان رسول الله ﷺ سيد بني هاشم هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر

إبن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بلا خلاف فى ذلك ولما توفى رسول الله ﷺ لم يخلفه فى أمته أحد من بنى هاشم الذين هم أقرب العرب اليه بل خلفه ﷺ أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو من بنى تيم بن مرة بن كعب فانه أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فانظر كيف كان ابو بكر خليفة رسول الله ﷺ فى البعد من جذم رسول الله ﷺ كبعد يوشع من أصل موسى عليه السلام فان ابا بكر رضى الله عنه انما يلتقى مع رسول الله ﷺ فى مرة ابن كعب بن لؤى بعد عدة آباء وكذلك يوشع انما يلتقى مع موسى فى يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام بعد عدة آباء وكما انه قام بامر بنى اسرائيل بعد يوشع خليفة موسى جماعة مختلفو الانساب بعضهم من سبط يهوذا وبعضهم من سبط يشاخار وبعضهم من سبط بنيامين وبعضهم من سبط منشا بن يوسف وبعضهم من سبط غاث (١) وبعضهم من سبط زان كذلك قام بالخلافة بعد أبى بكر رضى الله عنه جماعة مختلفة أنسابهم بعضهم من بنى عدى وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن

(١) بالهامش كاد

رياح (١) بن عبـد الله بن قرظ بن رزاح بن عـدى بن كعب وبعضهم من بنى أبى العاص(٢) بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وهو عثمان بن عفان بن أبى العـاص وبعضهم من بنى هـاشم وهما على بن أبى طـالب بن عبـد المطلب بن هـاشم بن عبـد منـاف بن قصى وابنـه الحسن بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم وبعضهم من بنى حرب بن أمية بن عبد شمس وهم معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية وابنه يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وبعضهم من بنى أسد بن عبدالعزى بن قصى بن كلاب وهو عبد الله ابن الزبير بن العوام بن أسد بن عبد العزى وبعضهم من بنى الحكم ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وهم مروان بن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان وبنوه وكما أن بنى اسرائيل استقر امرهم بعد من ذكرنا فى يهوذا كذلك استقرت الخلافة بعـد من ذكرنا فى بنى العباس وكما أن يهوذا عم موسى عليه السلام كذلك العباس بن عبد المطلب بن هاشم هو عم رسول الله ﷺ وكما أن يهوذا قدمه يعقوب على أخوته وبشره ومدحه كـذلك العباس رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ يجله ويكرمه ويثنى عليه وكما

(١) بالهامش رباح بالباء الموحدة

(٢) بالهامش من بنى العاص

أن أمر بني اسرائيل افترق فى دولة بني يهوذا وصاروا بعد موت سليمان بن داود عليهما السلام فرقتين فرقة بالقدس مع ابنه رحبعم بن سليمان وهم يهوذا وسبط بنيامين وفرقة بشمرون مع يربعام بن نباط وهم بقية الاسباط كذلك لما صارت الخلافة فى بنى العباس افترق أمر الأمة فصار فى الانبار ثم فى بغداد بنوا العباس وفى الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وبنوه من بعده فلم تدخل الأندلس تحت طاعة بني العباس كما لم تدخل شمرون تحت حكم سبط يهوذا وكما أن مدينة القدس التي هى دار ملك بنى يهوذا كانت تدعى أورشليم ومعناه دار السلام كذلك دار ملك بنى العباس كان يقال لها دار السلام وكما أن دوله يربعام من بعده بشمرون التى عرفت اليوم بنابلس إنقرضت قبل دولة بنى يهوذا بالقدس فانها لم تقم غير مائتين وأحدى وستين سنة فكذلك دولة بنى أمية بالأندلس فأنها انقرضت قبل انقراض دوله بنى العباس فكانت مدتهم مائتين وسبع وستين سنة وكما أن دولة بنى يهوذا بالقدس أقامت من عهد داود عليه السلام وهو أول من ملك منهم الى أن انقرضت نحوا من خمسمائة سنة فانها أقامت أربع ماية وعشر سنين كذلك بنو العباس أقامت خلافتهم منذ أبى العباس عبد الله السفاح أول قائم منهم الى أن انقرضت أيامهم خمسماية وأربعا وعشرين سنة وكما أن دولة بنى

يهوذا انقرضت على يد بخت نصر فانه سار اليهم من بلاد المشرق وقاتلهم وهدم مدينة القدس دار ملكهم وقتل رجالهم وسبي نساءهم فكذلك زالت دولة بنى العباس على يد هولاكو لما قدم الى بغداد من بلاد المشرق فقتل الرجال وسبي النساء وكما أن أمر بنى اسرائيل لم يجتمع بعد زوال دولتهم لواحد يقوم بدينهم كذلك أمة محمد ﷺ لم تجتمع بعد انقراض خلافة بنى العباس لواحد بل صار فى كل قطر ملك وكما عاد لبنى اسرائيل بعد ازالة بخت نصر دولتهم ملك كانوا فيه تحت يد اليونان وغيرهم مدة عمارة بيت المقدس بعد عودهم من الجالية كذلك أقام الأتراك ملوك مصر رجلا من بنى العباس جعلوه خليفة وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة وكما أن بنى اسرائيل قوم موسى عليه السلام قطعهم الله فى الأرض أمما كذلك قريش قوم رسول ﷺ تفرقوا فى أقطار الأرض وصاروا رعية ورعايا ليس لهم ملك ولا دولة وكما أن أنساب بنى اسرائيل جهلت بأسرها الا بعض بنى يهوذا فان نسبهم يتصل بداود عليه السلام كذلك قريش جهلت فى هذه الأيام أنساب جميع بطونها الا ماكان من بنى حسن وحسين فأن انساب كثير منهم متصلة الى على بن أبى طالب رضى الله عنه .

فانظر أعزك الله كيف تشابه أمر هذه الأمة المحمدية بأمر الأمة الموسويه وقد أنذر بذلك رسول الله ﷺ وكان هذا من أعلام

نبوته ﷺ كما بينته فى كتاب إمتاع الاسماع بما للرسول من الأنباء والأحوال والحفدة والمتاع صلى الله عليه وسلم

ثبت فى غير موضع من الصحيحين وغيرهما من حديث زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم » قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال. فمن هذا لفظ مسلم ولفظ البخارى لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم الحديث بمثله. وفى لفظ له لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن ولبقى بن مخلد من حديث أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لتتبعن سنن من كان قبلكم باعا بباع وذراعا بذراع وشبرا بشبر حتى لو دخلوا فى جحر ضب لدخلتم معهم قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن والله أعلم

تم وكمل بحمد الله وبعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا آمين

قد انتهيت من نسخ هذه النسخة منسوخة من نسخة مكتوب بآخرها مانصه انها منسوخة عن نسخة مكتوب بآخرها مايأتى

تم كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم تأليف الشيخ الامام العالم العلامة العمدة حافظ العصر ومؤرخ الوقت ابى العباس احمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن تميم المقريزى الشافعى تغمده الله تعالى برحمته واسكنه فسيح جنته وأعاد علينا من فوائد علومه وبركته وجعله رفيقا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين على التمام والكمال ونعوذ بالله من الزيادة والاختلال والحمد لله وحده وصلى الله من لا نبى بعده محمد وآله وصحبه والتابعين نقلت هذه النسخة من نسخة نقلت من خط المؤلف فى خامس عشر ذى القعدة سنة ١١٣١ هـ واحد وثلاثين ومائة وألف. كتبه الفقير على بن السيد محمد الشيلاوى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين

تم وكمل

رسالة للجاحظ فى بنى امية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الجاحظ

أطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك وكرامته لك اعلم ارشد الله أمرك ان هذه الأمة قد صارت بعد اسلامها والخروج من جاهليتها الى طبقات متفاوتة ومنازل مختلفة فالطبقة الاولى عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه كانوا على التوحيد الصحيح والاخلاص المخلص (١) مع الألفة واجماع الكلمة على الكتاب والسنة وليس هناك عمل قبيح ولا بدعة فاحشة ولا نزع يد من طاعة ولا حسد ولا غل ولا تأول حتى كان الذى كان من قتل عثمان رضى الله عنه وما انتهك منه ومن خبطهم أياه بالسلاح وبعج بطنه بالحراب وفرأى أوداجه بالمشاقص وشدخ هامته بالعمد مع كفه عن البسط ونهيه عن الامتناع مع تعريفه لهم قبل ذلك من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهادة وصلى القبلة وأكل الذبيحة ومع ضرب نسائه بحضرته

(١) لعله المحض .

وإقتحام الرجال على حرمته مع اتقاء نائلة بنت القرافصة عنه بيدها حتى(١) اطنوا أصبعين من أصابعها وقد كشفت عن قناعها ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك ردعا لهم وكاسرا من غربهم مع وطئهم في أضلاعه بعد موته والقائهم على المزبلة جسده مجردا بعد سحبه وهي الجزرة التي جعلها رسول الله ﷺ كفؤا لبناته واياماه وعقائله. بعد السب والتعطيش والحصر الشديد والمنع من القوت مع احتجاجه عليهم وافحامه لهم ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام كدم المؤمن الا من ارتد بعد الاسلام أوزنى بعد احصان أو قتل مؤمنا على عمد أو رجل عدا على الناس بسيفه فكان في امتناعهم منه عطبة ومع اجتماعهم على أن لايقتل من هذه الأمة مولى ولا يجهز منها على جريح ثم مع ذلك كله ذفروا عليه وعلى أزواجه وحرمه وهو جالس في محرابه ومصحفه يلوح في حجره لن يرى أن موحدا تقدم(٢) على قتل من كان في مثل صفته وحاله لاجرم. لقد احتلبوا به دما لاتطير رغوته ولا تسكن فورته ولا يموت ثائره ولا يكل طالبه وكيف يضيع الله دم وليه والمنتقم له وما سمعنا بدم بعد دم يحيى بن زكريا عليهما السلام غلا غليانه وقتل سافحه وأدرك بطائلته وبلغ كل محبته كدمه رحمة الله عليه ولقد كان لهم في أخذه وفي اقامته للناس والاقتصاص منه وفي بيع ماظهر من رباعه

(١) اطنوا أي قطعوا (٢) لعله يقدم

وحدائقه وسائر أمواله وفى حبسه بما بقى عليه وفى طمره حتى لا يحص بذكره ما يغنيهم عن قتله أن كان قد ركب كل ما قذفوه به وادعوه عليه وهذا كله بحضرة جلة المهاجرين والسلف المتقدمين والانصار والتابعين ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة ومراتب متباينة من قاتل ومن شاد على عضده ومن خاذل عن نصرته والعاجز ناصر بأرادته رمطيع بحسن نيته وأنما الشك منافيه وفى خاذله ومن أراد عزله والاستبدال به فأما قاتله والمعين على دمه والمريد لذلك منه فضلال لا شك فيهم ومراق لا امتراء فى حكمهم على أن هذا لم يعد منهم الفجور اما على سوء تأويل واما على تعمد للشقاء ثم مازالت الفتن متصلة والحروب مترادفة كحرب الجمل وكوقائع صفين وكيوم النهروان وقبل ذلك يوم الزابوقة(١) وفيه أسر ابن حنيف(٢) وقتل حكيم بن جبلة الى أن قتل اشقاها عليا بن ابى طالب رضوان الله عليه فأسعده الله بالشهادة وأوجب لقاتله النار واللعنة ألى ان كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحروب وتخلية الامور عند انتشار أصحابه وما رأى من الخلل فى عسكره وماعرف من اختلافهم على أبيه وكثرة تلونهم عليه فعندها استوى معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الانصار والمهاجرين فى العام الذى سموه عام الجماعة وما كان عام جماعة بل كان عام فرقة

(١) الزابوقة موضع قرب البصرة (٢) وفى نسخة ابو حنيفة

وقهر وجبرية وغلبة والعام الذي تحولت فيه الامامة ملكا كسرويا والخلافة غصبا قيصريا ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق ثم مازالت معاصية من جنس ماحكينا وعلى منازل مارتبناحتى رد قضية(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا مكشوفا وجحد حكمه جحدا ظاهرا في ولد الفراش ومايجب للعاهر مع اجتماع الأمة أن سمية لم تكن لابي سفيان فراشا وأنه أنما كان بها عاهرا فخرج بذلك من حكم الفجار ألى حكم الكفار ء وليس قتل حجر بن عدي و اطعام عمرو بن العاص خراج مصر وبيعة يزيد الخليع والاستئثار بالفيء واختيار الولاة على الهوى وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة من جنس جحد الاحكام المنصوصة والشرائع المشهورة والسنن المنصوبة وسواء في باب ما يستحق من الكفار جحد الكتاب ورد السنة إذ كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره ألا أن أحدهما أعظم وعقاب الآخرة عليه أشد. فهذه أول كفرة كانت من الامة ثم لم تكن الا فيمن يدعي أمامتها والخلافة عليها على أن كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك اكفاره وقد أربت عليهم نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا فقالت لاتسبوه فأن له صحبة. وسب معاوية بدعة ومن يبغضه فقد خالف السنة فزعمت أن من السنة ترك البرآءة من جحد السنة ثم الذي كان من يزيد ابنه ومن عماله وأهل نصرته ثم

---

(١) الحديث. الولد للفراش وللعاهر الحجر

غز ومكة ورمى الكعبة واستباحة المدينة وقتل الحسين عليه السلام فى اكثر أهل بيته مصابيح الظلام وأوتاد الاسلام بعد الذى اعطى من نفسه من تفريق اتباعه والرجوع الى داره وحرمه أو الذهاب فى الارض حتى لايحس به أو المقام حيث أمر به فأبوا ألاقتله والنزول على حكمهم وسواءقتل نفسه بيده أواسلمها الى عدوه وخير فيها من لايبرد غليله إلا بشرب دمه فأحسبوا قتله ليس بكفر وأباحة المدينة وهتك الحرمة ليس بحجة كيف تقولون فى رمى الكعبة وهدم البيت الحرام وقبلة المسلمين فأن قلتم ليس ذلك أرادوا بل انما أرادوا المتحرز به والمتحصن بحيطاته فماكان فى حق البيت وحريمه ان يحصروه فيه الى ان يعطى بيده وأى شيىء بقى من رجل قد أخذت عليه الارض إلا موضع قدمه واحسب ما رووا عليه من الاشعار التى قولها شرك والتمثل بها كفر شيئا مصنوعا كيف تصنع بنقر القضب بين ثنتى الحسين عليه السلام وحمل بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسر على الأقتاب العارية والأبل الصعاب والكشف عن عورة على بن الحسين عند الشك فى بلوغه على انهم ان وجدوه وقد انبت قتلوه وان لم يكن انبت حملوه كما يصنع امير جيش المسلمين بذرارى المشركين وكيف تقول فى قول عبيدالله بن زياد لأخوته وخاصته دعونى اقتله فأنه بقية هذا النسل فأحسم به هذا القرن

وأميت به هذا الداء واقطع به هذه المادة خبرونا على ماتدل هذه القسوة وهذه الغلظة بعد ان شفوا انفسهم بقتلهم ونالوا ما احبوا فيهم أتدل على نصب وسوء رأى وحقد وبغضاء ونفاق وعلى يقين مدخول وايمان مخروج أم تدل على الاخلاص وعلى حب النبي ﷺ والحفظ له وعلى براءة الساحة وصحة السريرة فأن كان على ماوصفنا لا يعدو الفسق والضلال وذلك ادنى منازله فالفاسق ملعون ومن نهى عن لعن الملعون فملعون وزعمت نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا أن أن سب ولاة السوء فتنة ولعن الجورة بدعة وأن كانوا يأخذون السمى بالسمى والولى بالولى والقريب بالقريب واخافوا الاولياء وآمنوا الاعداء وحكموا بالشفاعة والهوى واظهار القدرة والتهاون بالأمة والقمع للرعية وأنهم فى غير مدارة ولا تقية وأنه عدا ذلك الى الكفر وجواز الضلال الى الجحد فذلك أضل لمن كف عن شتمهم والبراءة منهم على أنه ليس من استحق اسم الكفر بالسفة بالقتل كمن استحقه برد السنة وهدم الكعبة وليس من استحق اسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه وليس من استحق الكفر كمن استحقه بالتجريد والنابتة فى هذا الوجه اكفر من يزيد وأبيه وابن زياد وأبيه ولو ثبت أيضا على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبعرى

(١) بالمرأة المهملة كذا بالأصل

ليت اشياخي ببدر شهدوا جذع الخزرج من وقع الاسل
لاستطالوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يايزيد لا تسل
قد قتلنا الغر من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

كان تجوير النابق لربه وتشبيهه بخلقه أعظم من ذلك وأقطع على انهم مجمعون على انه ملعون من قتل مؤمنا متعمدا أو متأولا فأذا كان القاتل سلطانا جائرا أو أميرا عاصيا لم يستحلوا سبه ولا خلعه ولا نفيه ولا عيبه وأن اخاف الصلحاء وقتل الفقهاء واجاع الفقير وظلم الضعيف وعطل الحدود والثغور وشرب الخمور واظهر الفجور ثم مازال الناس يتسكعون مرة ويداهنونهم مرة ويقاربونهم مرة ويشاركونهم مرة الا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره حتى قام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعاملهما الحجاج بن يوسف ومولاه يزيد بن ابي مسلم فأعادوا على البيت بالهدم وعلى حرم المدينة بالغزو فهدموا الكعبة واستباحوا الحرمة وحولوا قبلة واسط وأخروا صلاة الجمعة الى مغيربان الشمس فأن قال رجل لأحدهم اتق الله فقد أخرت الصلاة عن وقتها قتله على هذا القول جهارا غير ختل وعلانية غير سر ولا يعلم على ذلك الاأقبح من انكاره فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ بعض الجبابرة وخوفه العواقب وأراه ان في الناس بقية ينهون عن الفساد في الأرض حتى قام عبد الملك بن

مروان والحجاج بن يوسف فزجرا عن ذلك وعاقبا عليه وقتلا فيه فصاروا لايتناهون عن منكر فعلوه فأحسب تحويل القبلة كان غلطا وهدم البيت كان تأويلا واحسب ما رووا من كل وجه أنهم كانوا يزعمون ان خليفة المرء فى اهله ارفع عنده من رسوله اليهم باطلا ومصنوعا مولدا واحسب وسم أيدى المسلمين ونقش أيدى المسلمات وردهم بعد الهجرة الى قراهم وقتل الفقهاء وسب أئمة الهدى والنصب لعترة رسول الله ﷺ لايكون كفرا كيف تقول فى جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعة ولا يصلون أولاهن حتى تصير الشمس على أعالى الجدران كالملاء المعصفر فأن نطق مسلم خبط بالسيف واخذته العمد وشك بالرماح وأن قال قائل اتق الله أخذته العزة بالأثم ثم لم يرض الا بنثر دماغه على صدره وبصلبه حيث تراه عياله ومما يدل على أن القوم لم يكونوا ألا فى طريق التمرد على الله عز وجل والاستخفاف بالدين والتهاون بالمسلمين والابتذال لأهل الحق أكل امرائهم الطعام وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم فعل ذلك حسن بن دلجة وطارقه مولى عثمان والحجاج وغيرهم وذلك ان كان كفر كله فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا وروافض دهرنا لان جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك كان اختلاف الناس فى القدر على أن طائفة تقول كل شئ بقضاء وقدر وتقول طائفة أخرى كل شيء بقضاء وقدر

الآ المعاصى ولم يكن أحد يقول أن الله يعذب الأبناء ليغيظ الآباء وأن الكفر والأيمان مخلوقان فى الانسان مثل العمى والبصر وكان طائفة تقول ان الله يرى لا تزيد على ذلك فأن خافت أن يظن بها التشبيه قالت بلى كيف يتقززا (١) من التجسيم والتصوير حتى نبتت هذه النابتة وتكلمت هذه الرافضة فقالت جسما وجعلت له صورة وحدا وكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير ثم زعم اكثرهم ان كلام الله حسن وبين وحجة وبرهان وأن التوراة غير الزبور والزبور غير الانجيل والانجيل غير القرآن والبقرة غير آل عمران وأن الله تولى تأليفه وجعله برهانه على صدق رسوله وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد ولو شاء ان ينقص منه نقص ولو شاء ان يبدله بدله ولو شاء ان ينسخه كله بغير نسخة وأنه أنزله تنزيلا وأنه فصله تفصيلا وأنه بالله كان دون غيره ولا يقدر عليه الا هو غير ان الله مع ذلك كله لم يخلقه فأعطوا جميع صفات الخلق ومنعوا اسم الخلق والعجب ان الخلق عند العرب انما هو التقدير نفسه فاذا قالوا خلق كذا وكذا ولذلك قال أحسن الخالقين وقال يخلقون أفكا وقال واذ يخلق من الطين كهيئة الطير فقالوا صنعه وجعله وقدره وأنزله وفصله وأحدثه .ومنعوا خلقه وليس تأويل خلقه اكثر من قدره ولو قالوا بدل قولهم قدره ولم يخلقه خلقه ولم يقدره ماكانت

(١) التقزز التباعد عن الدنس

المسألة عليهم الا من وجه واحد والعجب ان الذى متعه بزعمه ان يزعم انه مخلوق انه لم يسمع ذلك من سلفه وهو يعلم انه لم يسمع ايضا عن سلفه انه ليس بمخلوق وليس ذلك بهم ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف وعلى جهة تقطيع الحروف وأعمال اللسان والشفتين وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ولما كنا عندهم على غير هذه الصفه وكنا لكلامنا غير خالقين وجب ان الله عز وجل لكلامه غير خالق أذ كنا غير خالقين لكلامنا فانما قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلاعنا وكلامه فرقا وان لم يقروا بذلك بألسنتهم فذلك معناهم وقصدهم وقد كانت هذه الأمة لا تجاوز معاصيها الأثم والضلال ألا ما حكيت لك عن بنى أمية وبنى مروان وعمالهم ومن لم يدن باكفارهم حتى نجمت النوابت وتابعتها هذه العوام فصار الغالب على هذا القرن الكفر وهو التشبيه والجبر فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى فى الاعمال التى هى الفسق وشركاه من كفر منهم بتوليهم وترك أكفارهم ، قال الله عز من قائل « ومن يتولهم منكم فأنه منهم » . وأرجو أن يكون الله أغاث المحقين ورحمهم وقوى ضعفهم وكثر قلتهم حتى صاروا ولاة أمرنا فى هذا الدهر الصعب والزمن الفاسد أشد استبصارا فى التشبيه من عليتنا وأعلم بما يلزم فيه منا واكشف

للقناع من رؤسائنا وصادفوا الناس وقدا نتظموا معان الفساد أجمع وبلغوا غايات البدع ثم قرنوا بذلك العصبية التي هلك بها عالم بعد عالم والحمية التي لا تبقي دينا ألا أفسدته ولا دنيا ألا أهلكتها وهو ما صارت اليه العجم من مذهب الشعوبية وما قد صار اليه الموالي من الفخر على العجم والعرب وقد نجمت من الموالي ناجمة ونبت منهم نابتة تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيا لقول النبي ﷺ مولى القوم منهم ولقوله الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب. قال فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ولما حول ذلك الى العرب صارت العرب اشرف منهم. قالوا فنحن معاشر الموالي بقديمنا في العجم اشرف من العرب وبالحديث الذي صار لنا في العرب أشرف من العجم. وللعرب القديم دون الحديث ولنا خصلتان جميعا وافرتان فينا وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجميا عربيا بولائه كما جعل حليف قريش من العرب قرشيا بحلفه وبعد أن جعل اسماعيل وكان اعجميا عربيا ولولا قول النبي ﷺ أن اسماعيل كان عربيا ما كان عندنا ألا أعجميا لان الأعجم لا يصير عربيا كما أن العربي لا يصير عجميا فانما علمنا أن اسماعيل صيره الله عربيا بعد أن كان اعجميا بقول النبي ﷺ فكذلك حكم قوله مولى القوم منهم وقوله الولاء لحمة. قالوا وقد جعل الله ابراهيم ﷺ أبا لمن لم يلد كما جعله

أبا لمن ولده وجعل أزواج النبي أمهات المؤمنين ولم يلدن منهم أحدا وجعل الجار والد من لم يلد في قول غير هذا كثير قد اتينا عليه في موضعه وليس ادعى الى الفساد ولا أجلب للشر من المفاخرة وليس على ظهرها الا فخور (الا القليل) وأى شيء أغيظ من أن يكون عبدك يزعم أنه اشرف منك وهو مقر أنه صار شريفا بعتقك اياه وقد كتبت مد الله في عمرك كتبا في مفاخرة قحطان وفي تفضيل عدنان وفي رد الموالى الى مكانهم من الفضل والنقص والى قدر ماجعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف وأرجو أن يكون عدلا بينهم وداعية الى صلاحهم ومنبهة عليهم ولهم . وقد أردت أن أرسل بالجزء الأول اليك ثم رأيت الا يكون الا بعد استئذانك واستئمارك والانتهاء في ذلك الى رغبتك فرأيك فيه موفق ان شاء الله عز وجل وبه الثقة .

تمت

رسالة الجاحظ

خاتمة الكتاب والرسالة

لما تم عزم الشيخ ابراهيم يوسف على نشر كتاب النزاع والتخاصم للمؤرخ الكبير العلامة المقريزى ، عثر على رسالة للجاحظ فى بنى امية مخطوطة مع احدى النسخ الخطية التى لم تطبع للآن ورأى الحاقها بكتاب النزاع والتخاصم لما لها من الارتباط به ليقف القراء على آراء المؤلفين المختلفة ـ ويظهر من ختام رسالة الجاحظ انه كتبها لأحد خلفاء العباسيين يتقرب اليه بها ، بذم معاوية وبنيه وقد تجاوز الحد فى نقد معاوية ومن ولاه ، وهذا ماينكره على الجاحظ اشد الانكار ان معاوية رحمه الله كان من اكبر رجالات الاسلام الذين لهم المكانة العظمى والمقدرة العجيبة فى قيادة الامم والشعوب وانما قال الجاحظ قولته وكتب كلمته متأثراً بروح عصره وقد كانت العداوة فيه على اشدها بين الامويين والعباسيين ، وانا نعتذر لحضرات القراء لوقوع بعض اغلاط مطبعية وقعت فى هذا الكتاب وما الحق به وقد ارفقنا جدولا يبين الصواب والخطأ

نقلت هذه الرساله من النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (٢٨٥٥) تاريخ وروجعت على نسختى المكتبة التيمورية المرقومتين برقمى (٣٢١) ، ١٠٨٧ تاريخ

خالله الحمد والمنه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧	٧	يعول	يقول
١٠	١٤	من	ومن
١١	١٧	كم	وكم
١٧	٩	أمنين	المؤمنين
٢٣	٥	اذا	أذى
٢٣	١٥	فأتا	فأنا
٢٥	٣	طروان	لمروان
٣٥	٥	وقدرج	وقد خرج
٣٦	١	فانطقت	فانطلقت
٥٠	١٣	النزاع وطال	النزاع وفيه وطال
٨٨	٤	قفتل	فقتل
٩٠	٧	الله من	الله على من
٩١	١٢	فرأى	فرى

تم طبع هذا الكتاب فى أول أغسطس سنة ١٩٣٧

بالمطبعة الابراهيمية بمصر شارع الساحة عطفة علم الدين رقم ٤



ترجمها نظما عن اللغة الفارسية

احمد رامى

شاعر الشبـاب

